مجلة شهرية

Issue No: 184 عدد:

December 2022 شهر كانون أوَّل

نور المسيح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

القديس بورفيريوس الرائي
اسقيط - كاڤسوكاليڤيا
جبل آثوس - اليونان

ضريح القديس بورفيريوس

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس العجائبي ٢٠٢١/١٢/١٩

يقول **صاحب المزمور**: «يَا رَبُّ، مَنْ يَسكُن فِي مَسْكَنِكَ؟ أَوْ مَنْ يَحِلُّ فِي جَبَلِ قُدْسِكَ؟ السَّالِكُ بِلَا عَيْبٍ، وَالْعَامِلُ الْصِّدْقِ، الْمُتَكَلِّمُ الحَقَّ فِي قَلْبِهِ.» (مزمور ١٤: ١-٢)

أيُّها الإخوة المحبوبون في المسيح

أيها المسيحيُّون الأتقياء

أيضًا ومرارًا كثيرة نشكر **إلهنا الواحد المثلث الأقانيم** الذي أهَّلنا أن نلتئم سويةً في كنيسة **القديس نيقولاوس** أسقف ميراليكيا التي تحمل اسمه لكي نُعَيِّد لتذكاره الموقر. (ميراليكيا = مدينة ميرا التي تقع في مقاطعة ليكيا في آسيا الصغرى).

يتألَّق **القديس نيقولاوس** في سماء قديسي الكنيسة، وذلك لأنَّهُ بحسب ما يقوله **المزمور**، قد بَرْهَنَ أنَّهُ: «سَّالِكٌ بِالْكَمَالِ، وَعَامِلٌ بالْحَقَّ، وَمتَكَلِّمٌ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ» (مزمور ١٤: ٢)؛ وعدا عن هذا فإنَّ مُرنِّم الكنيسة يؤكِّد قائلًا: «لقد ظهرتَ يا نيقولاوس مُناضلًا عن كنيسة المسيح كليّ الحماسة ينقضُ البِدَعَ الكُفريَّةَ بدالةٍ ودستورًا للأرثوذكسِيَّة لجميع الناس، تتشفَّع في جميع تابِعِي تعاليمك وارشاداتك الإلهِيَّة.»

حقًا إنَّ أبانا **البارّ نيقولاوس** قد ظهر قانونًا للأرثوذكسِيَّة أي مُدافعًا عن الإيمان الأرثوذكسيّ الحيّ، وهذا لأنَّهُ سَمِعَ من جهةٍ لوصِيَّة **القديس يعقوب الرسول**: «كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ، لاَ سَامِعِينَ فَقَطْ.» (يعقوب١: ٢٢)، ومن جهة أخرى مُصغيًا لقول **الرَّبّ**. «وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.» (متى ٥: ١٩)

وبكلام آخر إنَّ هذه الأقوال المقدَّسَة قد صارت عملًا وفعلًا لطريقة حياة رئيس الرُّعاة الرُّوحي للكنيسةِ **نيقولاوس العجائبي** والذي ذاع صيته إلى أقاصي المسكونة كلِّها، لهذا فقد سكن في مسكن **الرَّبّ** وحلّ في جبل قدسه الذي هو ملكوت السَّماوات.

يتميز شخص **القديس نيقولاوس** بِسمةٍ وميزةٍ خاصة من الإيمان الأرثوذكسيّ، وربما يتساءل شخصٌ ما، قائلًا: ما هي هذه السِّمَة والميزة الخاصَّة؟ إنَّها القداسة بحسب **القديس بولس**:« فَإِذْ لَنَا هذِهِ الْمَوَاعِيدُ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللهِ.» (٢ كور٧: ١)، وبحسب **القديس بطرس هامة الرسل**: إنَّ هذه السِّمة الخاصَّة أيضًا هي التقديس كما يكرز هو بذلك مُستشهدًا بالكتاب المقدس: «فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ.» (لاويين ٢٠: ٧)

إنَّ القداسة والتقديس تعني الالتصاق **بالله** أي حفظ وصايا **الله** كما هو مكتوبٌ عن **موسى وهارون وصموئيل**: «الذين كانوا يدعون الرَّبّ. وهو كان يستجيب لهم بعمود من سحاب وكان الله يكلمهم، لأنهم كانوا يحفظون شهادته والأوامر التي أعطاهم.» (مزمور ٩٨: ٦-٧). إنَّ الشَّهادات المقصود بها في المزمور هي الوصايا الإلهية، أي أوامر الله.

إنَّ هذه الشِّهادات أَيِ الوصايا الإلهِيَّة قد حفظها أبونا **البارّ نيقولاوس** المُلْهَمُ من **اللهِ**، الذي استحق أنْ يشترك في قداسة **الله**، والتي هي **الطهارة** بحسب **القديس يوحنا الذهبي الفم** ، **والأعمال الصالحة** بحسب **إيكومينويوس**، لهذا فإنَّ ناظم تسبيح نيقولاوس المتوشح **بالله** يطلب منه معونته قائلًا: «يا إنسان الله العبد الأمين، وخادم الرَّب، وّرجل المودَّة والاشتياق، والإناء المُصْطَفَى، وعمود الكنيسة، وقاعدتها، ووريث الملكوت لا تصمت عن الهتاف إلى الرَّبِّ من أجلنا.»

إنَّ طهارة القلب، والرُّوح الرَّئاسِيّ، والفضائل التي بحسب **المسيح** قد جعلت من أسقف ميراليكيا، ليس فقط كاروزًا للإيمان الأرثوذكسيّ ضِدَّ **هرطقة آريوس** في **المجمع المسكوني الأول الذي انعقد في نيقية آسيا الصغرى على عهد قسطنطين العظيم سنة ٣٢٥م**، وحسب؛ بل أيضًا اجتراح العديد من العجائب، لهذا فقد دُعِيَ بالعجائبي. ويُعرف **القديس نيقولاوس** بأنَّهُ للمساكين نصيرًا وللأيتام وللأرامل عائلًا وللعميان مُرشدًا.

و**كبولس** آخر ظهر أبونا **البارّ نيقولاوس** غيورًا على إنجيل **المسيح** قائلًا على الدوام:« لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ، وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ. لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ.» (رومية ١٤: ٧-٨).

لهذا فإن أبانا البارَّ يُنظَرُ إليه كمثالٍ ونموذجٍ للرَّاعي ومُعلِّمٍ للإيمان المسيحيّ، مُصليًا: «عَرِّفْنِي الطَّرِيقَ الَّتِي أَسْلُكُ فِيهَا، لأَنِّي إِلَيْكَ رَفَعْتُ نَفْسِي.» (مز ١٤٢:٨)، «وعَلِّمْنِي أَنْ أَعْمَلَ رِضَاكَ، لأَنَّكَ أَنْتَ إِلهِي.» (مز ١٤٢:١٠)، «وعَلَيْكَ أُلْقِيتُ مِنَ الحشا. مِنْ بَطْنِ أُمِّي أَنْتَ إِلهِي.» (مز ٢١:١١)، وسامعٍ للمزمور الذي يقول: «وإِنْ فاض غناكم فلا تضعوا فيهِ قلوبكم.» (مز ٦١:١١)، وأيضًا مُطبِقٍ لحكمة الحكيم سليمان:«لاَ تَدَعِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ يَتْرُكَانِكَ. تَقَلَّدْهُمَا عَلَى عُنُقِكَ. اُكْتُبْهُمَا عَلَى لَوْحِ قَلْبِكَ» (أمثال ٣:٣).

لقد أَحَبَّ أبونا البارُّ نيقولاوس الله : «مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِهِ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِهِ» (مرقس١٢:٣٠)، لهذا قاد الله خطواته للأراضي المقدسة زائرًا وساجدًا لمكان ميلاد وصلب المسيح ودفنه الثلاثي الأيام وقيامته من بين الأموات.

ونحن أيُّهَا الإخوة الأَحِبَّة بما أنَّنا شاهدون صادقون بعيوننا وآذاننا على الأماكن المقدسة الشاهدة على سِرِّ التدبير الإلهيّ، فنحن مدعوون لكي نسجد للمسيح مخلصنا، الذي وُلد من دماء النقية الدائمة البتولية مريم في مغارة بيت لحم ، فلنسجد كَنَسِيًّا وليس عالميًّا، روحيًّا وليس ماديًّا، لأنَّهُ كما يحثُّنا بولس الرسول: «اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ» (كولوسي ٣:٢)، وَلْنَكُن كمجوس آخرين مقدِّمين هدايانا للمسيح الذي تجسَّد من الرُّوح القُدُس والتي هي تواضع قلوبنا وتوبتنا ومسامحة بعضنا البعض، لكي بقلب نقيّ نُعيِّد لأُمِّ الأعياد مسبحين إلهنا وقائلين: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَفِي أُنَاسٍ الْمَسَرَّةُ.» (لوقا ٢: ١٤).

أعياد ميلادية مجيدة

كل عام ونعم بخير

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

عظمة القديس يوحنا المعمدان الفريدة

«أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَقَالَ لَهُ:«أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟»؟» (مت١١:٢-٣)

للقديس غريغوريوس الكبير – القرن السادس

في الظاهر، يبدو يوحنا وكأنَّهُ جَهِلَ المُشار إليه (يسوع المسيح)، وكأنَّهُ لم يعرف من تنبَّأ به وعمَّده وأعلن عنهُ !!

باستطاعتنا أنْ نُحلِّل هذا السؤال بُسرعة أكثر إذا تأملنا في توقيت الأحداث وترتيبها.

لمَّا كان يوحنا واقفًا على ضفة نهر الأردن، أعلن أنَّ هذا هو مُخلِّص العالم. لكن، لما أُلقي في السجن سأل ما إذا كانوا سينتظرون مُخلِّصًا آخر أو أنه قد أتى.

قال هذا القول لا لأنَّهُ شَكَّ في الشخص الذي أعلنهُ مُخلِّص العالم، بل لأنَّهُ أراد أن يعرف منهُ هل سينزل بشخصِهِ إلى الجحيم.

يوحنا سبق المسيح إلى العالم وأعلنه هناك. وسيسبقه بعد موته إلى العالم الأسفل.

هذا ما تَضَمَّنَهُ سياق سؤاله: «أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» (لو ١٩:٧).

فلو تكلَّم كلامًا أكثر شُموليَّة لقال: «**بما أنَّهُ يليقُ بِكَ أنْ تُوْلَدَ في سبيل البشر، أفلا يليقُ بك أنْ تموت لأجلهم. لقد كنتُ سابقًا لولادتك، وسأكونُ سابقًا لموتك، سأُعلن قدومك إلى العالم السُّفليّ كما أعلنتُ مجيئك على الأرض**».

«مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟

قَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟» (مت ١١:٧).

القصبة تميل مع كل ريح.

ماذا تُمثِّل القصبة سوى نفس جَسدِيَّةٍ؟

إنها تلتوي من كُل جهة متى لمسها ثناءٌ أو إفتراءٌ.

فإذا جاءت نَسمَة إطْراءٍ خفيفة من فم شخصٍ ما، تكون النفس فرحة وفخورة، وتميل ميلًا تامًّا إلى ما هو مُبهجٌ. لكن إنْ هبَّت عاصفةُ آفتراءٍ من حيث كانت تأتي نَسمة الثناء، فهي تميلُ بسرعة نحو الجهة المقابلة، أي نحو غضبٍ هائجٍ.

يوحنا لم يكن قصبة تهزُّها الريحُ.

فما من موقفٍ سارٍ جعله موافقًا، ولا من غضبٍ إنسان جعله مُرًّا.

المرجع: التفسير المسيحي القديم إنجيل متى، جامعة البلمند، (أربعون عظة إنجيليَّة للقديس غريغوريوس الكبير).

✝ « وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ تَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ. وَإِذَا أَبْرَصُ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً:«يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي». فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً:«أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!». وَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«انْظُرْ أَنْ لاَ تَقُولَ لأَحَدٍ. بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمِ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ». (مت ٨: ١-٤).

«وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ»:

عندما كان **يسوع** يُعلِّم على قِمَّةِ الجبل كان **تلاميذه** معه، الذين قد أُعْطِيَ لهم أن يعرفوا أسرار التعاليم السَّماوِيَّة، والذي بواسطتهم، **قَلْبُ العالم البربريّ** سوف يُملَّح بمعرفة الخلاص، والذي بواسطتهم أَعْيُنُ العميانِ – **المظلمة بِظِلالِ الانغماساتِ الأرضِيَّةِ** – سوف تنفتح على نور الحقِّ. لهذا يقول **الرَّبّ** لنا: «أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ. أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ٥: ١٣-١٦).

والآن عند نزوله من الجبل تبعته جموع كثيرة.

لا يستطيعون بأيِّ حالٍ من الأحوال أن يصعدوا للجبلِ، لأنَّ **أحمال الخطيَّة تُثقلهم وتعوقهم جدًّا**، ما لم يتخلَّصوا من حمولتها، هم غير قادرين تمامًا على الصعود إلى مرتفعات الأسرار **الإلهيَّة**. هكذا أيضًا لم يستطع **شعب إسرائيل قديمًا** أن يصعد إلى الجبل وينظر وجه **الرَّبّ**، إذ أنهم كانوا **مُقَيَّدين وَمُثْقَلِينَ بأحمالِ طريقة الحياة التي تعلَّموها في مصرَ**، لذا صَعِدَ **موسى** وحده، ومعه عددٌ قليلٌ من بين **حكماء إسرائيل**. وكما صَعِدَ **الرُّسل** إلى الجبل مع **الرَّبّ**، هكذا تفعل أيضًا الآن النفوس المؤمِنَة، التي تخاف **الله**، وتحبّ **الله**، وتشتاق إلى ملكوته السَّماوي، التي دائمًا تتبع **الرَّبّ**، إذ تصعد خلفه نحو الجبل السَّماويّ، مستمعة إلى قول **الرسول بولس**: «اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ» (كولُسي ٣: ٢).

ينزل **الرَّبّ** إلى أسفل، أيْ ينحدر نحو **عجز وضعف الآخرين**، وَيَتَعَطَّفُ على ضعفهم وبؤسهم. والجموع الكثيرة تتبعه، البعض **لمحبتهم له**، والكثير منهم **لسماع تعاليمه**، وعددٌ غير قليل من أجل **تحنُّنه وشفائِهِ**. وها هو **أبرص**، أحد هؤلاء الذين يترجَّوْنَ الشِّفاء، الذين يتوقون إلى الخلاص، «جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً:«يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي». نعم **أيُّها الإنسان**، تجري نحوه وتتوسل إليه عند نزوله إلى أسفل ولكن على الجبل لا تكلمه، لماذا؟ لأنَّ «لكلِ شيءٍ زمانًا» (جامعة ٣: ١)، هناك وقتٌ للتعليم وهناك وقتٌ للشِّفاءِ. على الجبل عَلَّم **الرَّبّ** وأنار، وشفى **النفوس والقلوب**. وبسبب **هذه الأمور العظيمة**، امتنعتْ عن الكلام، تَنَحَّيَتْ جانبًا بسبب هذه **الأمور السَّامية**.

وبعد الانتهاء من هذهِ المَهَامّ، ينزل منَ الجبل السَّماوي لكي يشفي كل جسد، وها يأتي إليه **رجلٌ أبرصُ**، ويسجد له. قبل أنْ يقدِّم التماسه **يبدأ بالسُّجود له**. قبل أن يتوسل **يُقدِّم الإجلال والتعظيم**. سَجَدَ له. بهذا الفعل، يخاطبه **كَرَبٍّ وإلهٍ**، إذ سجد له. كما فعل **أولئك المجوس المباركون**، إذ انحَنَوْا أوَّلًا **وسجدوا له**، ثم قدَّموا له هداياهم، هكذا على نفس المنوال فعل هذا الرَّجُل، إنحنى إلى أسفل **وسجدَ له** وبهذه الطريقة قدَّم التماسه قائلًا:

«يا سيِّدُ الرَّبّ، تُقَدَّم لك العبادة بِعَدْلٍ والخدمة بحقٍّ. أني أسجد لك كَرَبّ، ولذا كَرَبّ أدعوك وأتوسل إليك، مُعترفًا بأعمالك. كُلّ الأشياء مصنوعة بك. يارَبٍّ إنْ أردتَ، تقدر أنْ تطهرني. لقد أردتَ أنْ يأتي عليَّ هذا البرص النَّجِس، إمَّا بسبب خطاياي، حتى من خلال التأديب أُقَدِّمُ أعمال التوبة، أو بسبب تدبيرك الإلهي حتى من خلال شفائك لي المعجزيّ يتمجَّد اسمك. كُلّ الأشياء تتمُّ من خلال أوامرك وتدبيرك، وأنت تعطي الصِّحة بوفرة. لذا، إن كُنتُ قد ابتليتُ بهذا البَرَصِ بسبب خطاياي، أشفني ماحيًا خطاياي، وأن كان ذلك بسبب تدبيرك الإلهي، أشفني بشكلٍ مُعْجِزِيّ، حتى تَتَمجَّد أمام الناس.

يا سيِّدُ الرَّبّ، إن أردتَ تقدر أن تُطهرني. هناك احتياج إلى إرادتك، لأن المخلوقات تطيع فقط إرادتك، لذا إن أردتَ، تقدر أن تطهرني. أنا لا اترنح بالشَّكِ ولا أتحدث كذاك الذي التمس شفاء ابنه قائلاً: «إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئًا فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا» (مر ٩: ٢٢). لكني أعلم أنك على كل شيء قدير. وها أنا التمس لا قوَّتك ولا أطلب سلطانك. أعلم أن الإنسان ضعيف، لكنَّني اتوسل إلى إرادتك، لأن القوَّة التي تتبع

إرادتك سوف تُتَمِّمُ على الفور نعمة الشِّفاء فِيَّ.

يا رَبّ، إن أردتَ، تقدر أن تطهرني. لي الربح ولك المدح والتمجيد، ولجميع الذي يشاهدون الاعجوبة آتساع في معرفة الحقّ.

يا سَيِّدُ، إن أردتَ، تقدر أن تطهرني. أنتَ يا من شفيت بَرَصَ نعمان السُّوري بواسطة خادمك إليشع، الذي طلب منه الاغتسال في نهر الأردن.

الآن، إن أردتَ، تقدر أن تُطهرني.

ويجاوبه الرَّبُّ قائلًا:

«بإيمانِكَ آعترفتَ أنَّني أستطيع، وأنَّهُ سوف يتمّ الأمر إنْ أردتُ.

بناءً على ذلك، أنا أريد، فَآطْهُرْ.

بشكل عجيب قد آمنتَ، وبشكل عجيب قد تمَّ شفاؤك.

بلا قياس قد آعترفت، وبلا قياس قد تمَّ ابهاجك.

أنا أريد، فَآطْهُرْ.

لم تتعثَّر في الإيمان، وها أنا سريع في الشِّفاء.

لم تتأخر في الاعتراف بإيمانكَ، وها أنا لا أتأخر في تطهيركَ.

أنا أريد، فَآطْهُرْ.

ولكي أُظهر لكَ نعمة عظيمة، ها أنا أمدّ يدي إليك»

فمد يسوع يده ولمسه قائلا: «أريد فَآطْهُرْ»

ولماذا لمسه والشَّريعة تُحرّم لمس الأبرص؟ لقد لمسه لكي يُظهر أنَّ «كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ» (تيطس ١: ١٥)، لأنَّ النَّجاسة لا تنتقل من شخص إلى شخص آخر، ولا **تُنجِّس النجاسة الخارجيَّة** طهارة القلب الداخليَّة.

لكن لماذا لمسه في هذه الحادثة؟ لقد لمسه **الرَّبّ** لكي يُرشدنا إلى **التواضع**، ولكي يعلِّمنا ألَّا نحتقر أحدًا أو نشمئز منه أو نحسبه شخصًا ما تافهًا جديرًا بالشفقة، بسبب جُرحٍ في جسده أو عيبٍ في أحد أعضائه، سمح بها الله وعنها سوف يقدِّم السَّبب. أنا الطبيب السَّماوي يقول **الرَّبّ**، واستطيع أن أشفي **الأجساد** فَضلًا **عن النفوس**. لذا ألمس الجميع، لا لكي تلتصق الأمراض بي، بل لكي أدفعها خارج المصابين. إذْ أنَّني الشَّمس التي لا تُضاهَى وقمر البِرّ. لذا فاني أقتربُ من الجميع، وأشرقُ في الجميع بكل **بهائي** من أجل خلاصهم. أنا لا أتغيَّر، وأبقى في جمال **قداستي الذَّاتيَّة**.

وهكذا، مَدَّ يسوع يده ولمسه. أنا لا احتقر الناموس بل أشفي الجرح. أنا لا الغي الوصية بل أُظَهِّرَ البُرْصَ. وعندما أمد يدي يفارقه البَرَصُ فورًا، ولا يستطيع تلوث المرض أن يقترب من كمالي، أو يقاوم قوتي. لذا أقول: أريد فَآطْهُرْ.

وعندما مد يديه لكي يلمسهُ فارقه البَرَصُ على الفور، وإذا بِيَدِ **الرَّبّ** لم تلمس **أبرصَ**، بل **جسدًا متطهرًا!**

فلنتأمل هنا، أيها الأخوة الأحباء، في ما إذا كانت نفسُ أحدنا **ملطخة بالبَرَصِ**، أو كان **قلبه ملوَّثًا بالإثمِ؟**

إنْ كان الأمر كذلك، **فليسجد للرَّبِّ** حالًا، ويقول له: «**يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي**». لقد طهَّرتَ قديمًا **نعمان السُّوري** الذي **ارتكب جرائم كثيرة**، بل على مرِّ العصور تعطَّفتَ وتحنَّنتَ على عدد لا حصر له من أولئك الذين تضرعوا إليك. لذا، إن أردتَ، تقدر أن تُطهرني»

والرَّبّ بسرعه سوف يمدّ يد رحمته إليك ويقول كما قال للأبرصِ الذي شفاه: «**أَنَا أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!**».

السيِّدة أنجيليكي كولي، من مقاطعة أونتيريو في كندا. تروي لرئيسة دير ماليقي العامر للرُّوم الأرثوذكس قائلةً:

أنا إمرأة يونانية أقطن في كندا، للأسف لا يوجد لديّ أولاد، رغم جميع المحاولات الطبيّة الفاشلة التي اتبعتها، لم استطع الحبل ثمَّ الإنجاب.

اتصلتُ مع **دير مالقي العامر، للحصول على الطيب المقدّس الذي ينبع من أيقونة والدة الإله**؛ وأيضًا طلبتُ من الدير إرسال منديل مطرّزٍ عليه أيقونة العذراء، بعد تَسَلُّمي هذه البَرَكَة

الكبيرة، رشمتُ نفسي **بالطيب المقدس بشكل صليب، ووضعت المنديل المطرّز بأيقونة والدة الإله** على ظهري الخلفيّ.

وفعلًا حصلت العجيبة، وهبتني العذراء طفلةً تتمتّع بصحةٍ ممتازة.

جميع أفراد العائلة: **يقدّمون أَحَرَّ الشكر، إلى العذراء مريم صاحبة الدَّير العامر دير ماليقي على هذه العطيّة السَّخيّة، أن** وهبتنا هذه الطفلة التي ملأت البيت فرحًا وسعادة وابتهاجًا.

« بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ ... بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ ... لأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ... فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ ... لِذلِكَ لاَ يَسْتَحِي بِهِمِ اللهُ أَنْ يُدْعَى إِلهَهُمْ، لأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً.» (عبرانيين ١١: ٨-١٦).

كان **القديسون** غُرباء ونُزلاء .. كما قال **داود**: «لأَنِّي أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ. نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ آبَائِي.» (مز٣٨: ١٢). لأنَّ أولئك الذين عاشوا في خيام، والذين أشتروا القبور بالمالِ؛ من الواضح أنَّهم كانوا غُرباء إلى حَدٍّ أنَّهم لم يَكُنْ لديهم ولا حتى مكانٌ يدفنون فيه موتاهم. تُرى هل كانوا يقصدون أنَّهم غرباء عن تلك الأرض التي كانت في فلسطين فقط؟ بالطبع لا، إنَّهم كانوا غُرباء نزلاء في العالم بأسرهِ. ولم يَروا فيه ما كانوا يتوقون إليه، فكلُّ شيء كان غريبًا عندهم. لقد أرادوا حقًّا أنْ يمارسوا الفضيلة، ولكن في العالم كان الشَّرّ متفاقمًا، وكانوا غرباء عنه. لم يَكُنْ لهم صديقٌ حميمٌ، ولا أهل بيت إلَّا القليل القليل.

ملحوظة : المقبرة الأولى: تُسمَّى مغارة او حقل المكفيلة: «وهو حقل في حَبْرُون كان فيه المغارة التي اشتراها إبراهيم من عفرون الحِثِّيِّ لتكون مقبرة لأسرته (تك٢٣). ودُفِنَ فيها إبراهيم (تك٢٥: ٩)، وسارة (تك ٢٣: ١٩) واسحاق ورفقة وليئة (تك٤٩: ٣١) ويعقوب (تك٥٠: ١٣).

المقبرة الثانية: «ثُمَّ أَتَى يَعْقُوبُ سَالِمًا إِلَى مَدِينَةِ شَكِيمَ الَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانِ أَرَامَ. وَنَزَلَ أَمَامَ الْمَدِينَةِ.وَابْتَاعَ قِطْعَةَ الْحَقْلِ الَّتِي نَصَبَ فِيهَا خَيْمَتَهُ مِنْ يَدِ بَنِي حَمُورَ أَبِي شَكِيمَ بِمِئَةِ قَسِيطَةٍ. وَأَقَامَ هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَاهُ «إِيلَ إِلهَ إِسْرَائِيلَ». (تك ٣٣: ١٨-٢٠) وفي قطعة الحقل (المقبرة) هذه، دَفَنَ العبرانيون فيها عظام يوسف بعد خروجهم من مصر. (يشوع ٢٤: ٣٢).

(نفس القطعة اشتُرِيَت مرّتين بفارق ١٤٥ سنة).(جمعية نور المسيح).

وكيف كانوا غرباء؟ لقد سلكوا كغرباء، لم ينشغلوا بالأمور الأرضيَّة، وقد أظهروا هذا لا بالكلام بل بالأعمال. كيف وبأية طريقة؟ «وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ.» (تك١٢: ١). ولم يتراجع بسبب أقربائه، بل كما لو كان ينوي أن يترك بلدًا غريبًا عنه، وبِكُلِّ هذه السهولة ترك أرضه. أيضًا قال له **الله**: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». (تك ٢٢: ٢).، فَقَدَّمَهُ بكلِّ هذه السُّهولة، كما لو كان ليس لديه ابنٌ، قدَّمَهُ كما لو كان مُجَرَّدًا من الطبيعةِ الأبَوِيَّةِ.

كل ما له كان مشتركًا مع العابرين من هناك، وهذا الأمر كان يفعله كما لو كان لم يفعل شيئًا. المكانة الأولى كان يتنازل عنها للآخرين، أمَّا نفسه فقد رماها في الأخطار، وعانى من مصائب كثيرة، لم يبنِ بيوتًا فخمة، ولم يعش في رفاهِيَّةٍ، ولم يهتم بالملبس، ولا بأي شيء آخر من تلك الأمور المتعلقة بهذه الحياة، لكنه اهتمَّ بكلِ ما يتعلَّق بتلك المدينة السَّماوِيَّة. كان مُحِبًا للغرباءِ ومضيافًا، محُبًا للأخوةِ، مُحسنًا، مُتسامحًا، إزدرى بالمال وبمجدِ هذه الحياة الحاضرة، وبِكُلِّ الأشياء الأخرى ...

لقد تنهد **الرسول بولس** قائلًا:«فَإِنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ فِي الْخَيْمَةِ (**خيمة الجسد**) نَئِنُّ مُثْقَلِينَ» (٢ كو٥: ٤). هكذا كان أولئك الذين عاشوا في زمن **إبراهيم**، لأنَّهُ يقول: «وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ... يَطْلُبُونَ وطَنًا» (عب١١: ١٣). إذًا ما هو هذا الوطن؟ هل هو ذلك الوطن الذي هجروه؟ بالطبع لا، لأنَّهُ ماذا كان يعيقهُمْ لو أنَّهم أرادوا أن يعودوا إليه مرة أخرى، وأن يصيروا مُواطِنين في هذا الوطن، لقد طلبوا الوطن الذي في السَّموات. تاقوا إلى الرحيل، وهكذا أرضوا **الله**.

«لِذلِكَ لاَ يَسْتَحِي بِهِمِ اللهُ أَنْ يُدْعَى إِلهَهُمْ» (عب١١: ١٦).

يا لَلْعَجَبِ ! يا لها من كرامة عظيمة !

لقد قَبِل **الله** أن يُدعى إلههم.

ماذا تقول؟ مع أنَّهُ يُدعى **إله الأرض والسَّماء**، إلَّا أنَّهُ لا يستحي بأنْ يُدعى إلههم.

ما أعظم ذلك !! أنَّهُ دليل على تطويب وغبطة فائقة.

كيف؟ أنَّهُ يُدعى **إله السَّماء والأرض**، كما يُدعَ إله اليونانيين، ويُدعى **إله السَّماء والأرض** لأنَّهُ هو الذي صنعهما وخلقهما. لكن بالنسبة لأولئك **القديسين** فهو لم يُدعى فقط إلههم بل دُعي **كمحب وصديق وَفِيّ**.

وسأضرب لك مثلًا لأوضِّح ما أريد. الخُدَّام في قصور أسيادهم، يُكرمهم ويعتني بهم أهل البيت، وتكون لهم دالة عظيمة على سيِّدهم، وَيُدْعَوْنَ باسم سيِّدهم.

ماذا أقول؟ فكما أنَّهُ من الممكن أن يُدعى **الله**، ليس إله الأمم بل إله الكون كله، هكذا دُعي «إله إبراهيم». لكن ألا تعلمون كم هو عظيمٌ هذا المقام، لأنَّنا لا نناله صدفة. تمامًا كما هو الآن أيضًا، **فالرَّبُّ** يُدعى إله كل المسيحيين، إلَّا أنَّهُ الأسم يتجاوز أهليتنا ويفوق قيمتنا نحن.

أنظر ما اعظم أنْ يُدعَى **الله** باسم شخص واحد.(**إله إبراهيم مثلًا**) ، فإله العالم كلّه لا يستحي من أن يُدعى **إلهًا لثلاثة أشخاص**. فالقديسيون **ابراهيم واسحق ويعقوب** هم بموازاة العالم، كل العالم، بألوفه المؤلفة في كل أصقاع الأرض. إذ أنَّ «وَلَدٌ وَاحِدٌ يَتَّقِي الرَّبَّ، خَيْرٌ مِنَ أَلْفٍ مُنَافِقِينَ.» (سي ١٦: ٣).

إذاً فلنصر نحن أيضًا الآن غرباء، لكي لا يستحي **الله** أن يُدعى إلهنا. هي إهانة **الله** أن يُدعى إله أناس أشرار ويستحي بهم، تمامًا مثلما يتمجَّد عندما يكون إله أُناس صالحين وأبرار وسالكين بالفضيلة، لأنَّهُ إنْ كنَّا نحن لا نريد أن نُدعى سادة لعبيدنا الأشرار، ونستغني عنهم، وإن اقترب منَّا أحد وقال لنا، هذا الذي يصنع شرورًا كثيرة، هل هو عبدٌ لك، نقول على الفور: **لا**، لكي نتجنب الخجل، بالأكثر جدًّا، هذا يسري على **الله**. لكِنِ القديسون كانوا في بهاءٍ شديد، وكانوا مملوءين بالجرأة والسَّخاء، حتى أنَّهُ لا يستحي أنْ يُدعى فقط إلههم، بل هو ذاته لا يستحي أن يقول (كما قال لموسى): «أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (خر٣). فلنصر أيُّها الأحباء غُرباء، حتى لا يستحي **الله** بنا، ويسلمنا **لجهنم**.

المرجع: تفسير رسالة العبرانيين للقديس يوحنا ذهبي الفم، ترجمة د. سعيد حكيم يعقوب، مركز دراسات الآباء بالقاهرة + التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس، رقم ١٠، رسالة العبرانيين، جامعة البلمند.

أَفراتة بيت لحم

للقديس يرونيموس

«اُذْكُرْ يَا رَبُّ دَاوُدَ، وَكُلَّ دِعَتِهِ. كَمَا أَقْسَمَ لِلرَّبِّ وَنَذَرَ لإِلهِ يَعْقُوبَ. إِنِّي لَا أَدْخُلُ إِلَى مَسْكَنِ بَيْتِي، وَلَا أَصْعَدُ عَلَى سَرِيرِ فِرَاشِي. وَلَا أُعْطِي لِعَيْنَيَّ نَوْمًا، أَوْ لأَجْفَانِي نُعَاسًا، وَلَا رَاحَةً لِصُدْغِي، إِلَى أَنْ أَجِدَ مَوْضِعًا لِلرَّبِّ، وَمَسْكِنًا لإِلهِ يَعْقُوبَ. هَا قَدْ سَمِعْنَا بِهَا (**بِهِ**) فِي أَفْرَاتَةَ. وَجَدْنَاهَا فِي مَوْضِعِ الغَابَةِ. فَلْنَدْخُلْ إِلَى مَسَاكِنِهِ. وَنَسْجُدْ فِي المَوْضِعِ الَّذِي اسْتَقَرَّتْ فِيهِ قَدَمَاهُ.» (مز ١٣٢: ١-٧).

يقول **داود** هنا: أنني لا أسعى وراء أي موضع أخر لأستريح سوى **المسيح**، الذي سوف يُولَدُ من نسلي، كما أقسم **الرَّبُّ** أنه يولد من ذُرِّيتي.

«إِلَى أَنْ أَجِدَ مَوْضِعًا لِلرَّبِّ، وَمَسْكِنًا لإِلهِ يَعْقُوبَ.»

كثير من المفسرين يعتقدون أنَّ هذا الكلام يرمز إلى **الكنيسة**، لكن بالنسبة لي، يبدو أنه يُشير لا للكنيسةِ بقدر ما هو يشير **إلى القديسة مريم**.

حتى أنَّهُ يقول:

«هَا قَدْ سَمِعْنَا بِهَا (**بِهِ**) فِي أَفْرَاتَةَ. وَجَدْنَاهَا فِي مَوْضِعِ الغَابَةِ.»

لَيْتَنَا نقرأ الكتاب المقدس، ونتأمَّل ليلًا ونهارًا في كُلِّ مقطع وفي كُلِّ حرف، ولنحلِّل الكلام ونتناقش فيه.

قد **يقول قائل**: أنَّ **أَفْرَاتَةَ** هنا تشير إلى **بيت لحم**. وللتأكُّد من هذا، يمكننا الرجوع إلى سفر التكوين: «فَمَاتَتْ رَاحِيلُ وَدُفِنَتْ فِي طَرِيقِ أَفْرَاتَةَ، الَّتِي هِيَ بَيْتُ لَحْمٍ.» (تك ٣٥: ١٩). هذا قيل عندما ماتت **راحيل زوجة يعقوب في أَفْرَاتَةَ**.

دعونا نبحث في أصل **كلمة أَفْرَاتَةَ**. إذ أنَّهُ مكتوبٌ في سفر أخبار الأيام الأوَّل: أَنَّ مريم أخت موسى وهارون قد تزوجت رجل اسمه حور، وقيل عن ثمر هذا الزواج: «هؤُلاَءِ بَنُو حُورَ **بِكْرِ أَفْرَاتَةَ** أَبِي بَيْتِ لَحْمٍ.» (١ أخ ٤: ٤). من هنا نفهم أَنَّ مريم أخت موسى وهارون هي **أَفْرَاتَةَ**. هذا إذنْ هو مصدر اسم **أَفْرَاتَةَ** في **المزمور** الذي نتناوله.

ربما يُشَكِّك أحدٌ في هذا الاستنتاج لأنَّهُ جديدٌ، لكنَّني أُحيل مثل هذا الشخص إلى قانونيَّة هذا السفر.

«هَا قَدْ سَمِعْنَا بِهَا (**بِهِ**) فِي أَفْرَاتَةَ.».

نقرأ في النصّ العِبري «**بِهِ**» بدلًا من «بِهَا»، مُوَجِّهًا الأنتباه إلى شخص **الرَّبّ** الذي سوف يولد من نسل **داود**: «ها قد سمعنا **بِهِ** (أي بالرَّبّ) في **أَفْرَاتَةَ** (أي في مريم)»

أما في الترجمة السبعينية فنقرأ: «هَا قَدْ سَمِعْنَا **بِهَا** فِي أَفْرَاتَةَ.»، إذ تُشير إلى **مريم العذراء**.

يمكنُنا أيضًا أنْ نفهم ببساطة أنَّ **أَفْرَاتَةَ** تشير إلى **بيت لحم**، وأنَّ هذه الآية نبوَّةٌ عن **ميلاد المسيح** في **بيت لحم**.

مُطوَّب حقًّا هذا المكان الذي أُحتفل به قبل فترة طويلة مِنَ الزمنِ في **المزمور**!

حقًّا، جميع الأماكن **مقدسة وَمُوَقَّرة**، حيثما **وُلِدَ المسيح**، وصُلب، وقام من الأموات، وصعد إلى السَّموات كمنتصر، إلَّا أَنَّ هذا المكان **(بيت لحم)** أكثر جلالًا كما يليق به تمامًا. تأمَّلُوا فقط في رأفة **الله** وحنانه. هنا، قد وُلِدَ طفل صغير فقير، رضيع قد «أَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ.» (لوقا ٢: ٧).

أيُّهَا الرهبان، لقد **وُلِدَ الرَّبُّ** على الأرض، وليس له حتى قِلَّايَةٌ لكي يولد فيها، لم يكن له حجرة في الفندق. كُلّ الجنس البشري له مكان، أمَّا **الرَّبّ** الذي على وشك أنْ يُولَد على الأرض ليس له أي مكان. لم يجد مكانًا بين البشر، لم يجد مكانًا **في أفلاطون أو أرسطو**، لكنه وجد مكانًا في **مِذْوَد**، بين بهائم الأحمال والحيوانات العجماء، وبين البسطاء أيضًا والأنقياء.

لهذا السبب يقول **الرَّبّ** في الإنجيل: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ، وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» (لوقا ٩: ٥٨).

«أيُّهَا المُحبّون الشُّهداء، لنُبادر معًا بابتهاجٍ إلى احتفال **عيد كاترينا الشَّهيدة** التي فقّهها **الله** ، ولنكلّلها بالمدائح كما بالأزهار... **إفرَحِي** يا من وبَّخت الخُطباء الهاذرين على حماقتهم... واقتادتهم إلى الإيمان الإلهي. **إفرَحِي** يا من دفعتِ جسدَكِ للتعذيبات الكثيرة الأنواع لأجل محبَّة خالقك ولم تنصدعي كسندان غير مُنْثَلِم. **إفرَحِي** يا من ٱعتضت عن الأوجاع بالسكنى في المقامات العلويَّة متنعمة بالمجد الأبدي. فإذا نصبو إليه، نحن مادحيك، اجعلنا لا نيأس من الرَّجاءِ». (صلاة المساء – ذكصا على يا رب إليك صرخت)

علومها والزواج:

وُلِدَت **القديسة كاترينا** وعاشت في مدينة الإسكندرية في زمن **الإمبراطورين ذيوكليسيانوس ومكسيميانوس** بين أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للميلاد. ويبدو أنَّهَا كانت من فئة النُّبلاء، جميلة جدًّا وذكيَّة جدًّا. وقد سَهَّل لها موقعها الاجتماعي الانكباب على دراسة العلوم الكلاسيكيَّة: كالفلسفة والبلاغة والشِّعر والعلوم الطبيعيَّة واللغات. طاقتها على الاستيعاب وتفتيق المسائل الذهنيَّة الغامضة أو المعقّدة كانت غير عادية. كُلُّ ذلك ولم يتجاوز عمرها العشرين ربيعًا. (في السنكسار اليوناني كُتِبَ: أنَّها كانت عالمة بالرياضيات).

كثيرون جاءوا يطلبون وُدّها فلم ترضَ بأحدٍ منهم. ثمة دافع في نفسها كان يدفعها عن الزواج. لسان حالها، لِتَرُدَّ ضغط ذويها عنها، كان أنَّها إنْ لم تَلْقَ رجلًا يساويها نُبْلًا وغنىً وعلمًا فلن ترضى به عريسًا لنفسها.

العريس الأمثل:

إلى هنا لا نعرف تمامًا ما إذا كانت كاترينا قد نشأت مسيحيَّة أم لا، لكن والدتها كانت كذلك. فلما عيل صبر أُمِّها واحتارت في أمر ابنتها استعانت بناسك قدّيس كان يقيم خارج المدينة. قال الناسك لكاترينا: إنَّهُ يعرف رجلًا يتمتَّع بالمزايا التي تَطْلُب، وأَنَّ حكمة هذا الرجل تفوق حدود التصوُّر، فحكمته مبدأ الكائنات المنظورة وغير المنظورة. وهو لم يتعلم الحكمة من أحد لأنَّها عنده منذُ الأزل. من جهة أخرى، هذا الإنسان أنبل من كل أهل الأرض بما لا يقاس، وله سلطان على الكون بِرُمَّتِهِ، وقد خلق العالم بقدرته الذَّاتيَّة. لا أجمل منه في بني البشر لأنَّهُ الإله متجسدًا: **الابن والكلمة الأزلي للآب**، وقد صار إنسانًا لأجل خلاصنا. هو أيضا يلتمس العروس، وعروسه النفس البتول ولا يرضى عن النفس البتول بديلًا.

قال لها الناسك ذلك وصرفها. وعادت كاترينا إلى بيتها مُتحيِّرة، مُتأَمِّلة، **في قلبها فرحٌ وفي نفسها شوقٌ ولهف للقاء الختن** كما وَصَفَهُ لها الناسك. وفي الليلة عينها رأت كاترينا **والدة الإله مريم وابنها يسوع المسيح**. لكن **الرَّبّ يسوع** أبى أن ينظر إليها لأنَّهَا، كما قال: **بشعة وملوّثة طالما أنها تحت الموت والخطيئة**. اضطربت كاترينا لهذا الحلم؛ وعادت في اليوم التالي إلى الناسك تسأله العون فعلَّمها **أسرار الإيمان وعمّدها**. ومن جديد **ظهرت لها والدة الإله والرَّبّ يسوع** فقال عنها السيِّد: «ها هي الآن كاترينا مُشرقة، جميلة، غنيَّة ومزدانة بالحكمَةِ والحَقِّ. الآن أقبلها عروسًا نقِية!». ولكي تختم **والدة الإله** خطبة كاترينا السَّماويَّة، أخذت خاتمًا ووضعته في إصبعها وأوصتها بألَّا تقبل عريسًا آخر لِنَفْسِهَا على الأرض.

أمام الإمبراطور:

وحدث في ذلك الزمان أنْ قَدِمَ **الإمبراطور مكسيميانوس** (٣٠٥-٣١١) إلى مدينة الإسكندرية ورغب في أنْ يُضَحِّي كُلّ أهل المدينة **للأوثان** للدلالة على خضوعهم لسلطانه وولائهم لدولته تحت طائلة التعذيب والموت. وفيما باشر كهنة **الأوثان** بإقامة الطقوس

وَنَحْرِ البهائم، وفيما كان الناس يَتدَفَّقونَ على المكان لتقديم الطَّاعة **للإمبراطور**، والاشتراك في رفع الذبائح **للأصنام**، إحتَدَّتْ **روح كاترينا** فيها فجاءت ووقفت أمام **الإمبراطور**. وبعدما أبدت التَّحِيَّة المعهودة وطلبت الإذن بالكلام، شرعت تقول له: إنَّ عبادة **الأوثان مفسدة** لا يُجيزها العقل السليم، **والأوثان** لا وجود لها، بل المنطق يُظهر أنَّهُ لا يمكن أنْ يكون هناك غير **إله واحد** هو أصل الموجودات وَعِلَّتها. وهذا ما سَلَّمَ به كبار الفلاسفة الوثنيين وَبَيَّنُوا في المقابل، **فساد الاعتقاد بكثرة الآلهة**. ونزل كلام **كاترينا** في نفس **الإمبراطور** نزول الصَّاعقة، فبدا مأخوذًا بجسارتها ووضوح بيانها وقوَّة كلامها. وَأُخِذَ أكثر من ذلك بفتنتها وطلعتها وشبابها، فأبدى مرونة نَحْوَها. ثم تحرَّكت الأفكارًا في نفسه وقد رغب فيها. وخطر بباله أنْ يستدعيها إلى قصره ويجعل مناظرة بينها وبين حُكمائه. وهكذا جرى استدعاء أبرز الحكماء والفلاسفة والخطباء، فاجتمع خمسون منهم، والبعض يقول مئة وخمسون.

المناظرة الكبرى:

وحضرت السَّاعة وواجهت **كاترينا**، بنعمة **الله**، محفل الحكماء والفُهمَاء فأفحمتهم جميعًا. كشفت أمام الجميع ضلالات الكُهَّان والشُّعراء والفلاسفة الوثنيِّين، وبيَّنت بالشَّواهد، التناقضات في أقوالهم وتعاليمهم كما أكَّدَتْ أنَّ ما يُسمِّيه القوم **آلهة** إنْ هو سوى **أبالسة مضلّلة** تتخذ من شهوات الناس ورغائبهم ستارًا لها. ولكي تدعم أقوالهم بِحُجَّةٍ أكبر عرضت لبعض ما ورد في نبوءات ما يعرف بـ «**السيبلّلا**» – وهي التي اعتبرها المسيحيون الأوائل إشارات ولو غامضة إلى التجسّد الإلهي، وآلام الابن الخلاصيَّة – وأبرزت بُطلان الخرافات والأساطير الوثنيَّة بشأن تكوين العالم، قائلة: بأنَّ العالم خَلَقَهُ من العدم الإله الواحد الأزليُّ، وأنَّ الإنسان قد أُعْطِيَ الخلاص من الخوفِ والموتِ بتجسّد ابن **الله** الوحيد. ثم بعد أَخْذٍ وَرَدٍّ لم يَجِدِ الحكماء والفلاسفة والمشتركون في المناظرة بُدًّا من التسليم بصواب ما نطقت به الصبيَّة الصغيرة. ويبدو أنَّ **الرُّوح القُدُس** الذي تكلّم في **كاترينا** سُمِعَ فيهم، فكان أن أعلنوا كلهم **الإيمان بالمسيح** الذي تُؤْمِنُ به أَمَةُ **الله**. ويقال إنَّ **الإمبراطور** أَمَرَ بإلقائهم طعامًا للنار. **والكنيسة تحصيهم اليوم في عداد قديسيها**.

نحو الشِّهادَة:

أمَّا **كاترينا** فَعَلِقَ **الإمبراطور** بهَواهَا ولعلَّه كان مستعدًا أن يغضّ الطرف عن إيمانها لو رضخت له وقبلت الزَّواج منه، لكنَّها صَدَّتْهُ. إذْ ذاكَ غَضِبَ لكرامَتِهِ الجريح وأَمَرَ بها جُنده، فجلدوها وألقوها في السِّجن عَلَّها تلين. وسمعت الإمبراطورة **بكاترينا** فتحرّك قلبُها، فأتتها زائرة برفقة ضابط اسمه بُرْفيريوس. فلما تعرَّفت بِهَا وبانت لها **نعمة الله** عليها **آمنت بالمسيح**، وآمن معها بُرْفيريوس والجُنود الذين كانوا في إِمْرَتِهِ. ثم أنَّ **الإمبراطور** عاد إلى المدينة بعد سَفَرٍ قصير ليكتشف أنَّ امرأته قد وقعت هي أيضًا في ضلالات المسيحيِّين فَأَمَرَ بقطع هامتها، هي وبرفيريوس الضابط وسائر الجنود الذين معه. فعل ذلك مخافة أنْ يفلت زِمَام الأمر من يَدِهِ، ولأنَّهُ رَغِبَ في أنْ يتخلَّص من زوجته السَّابقة، ليصفو له الجَوّ مع **كاترينا**. وحاول **الإمبراطور** ثانية وثالثة أن يستميل **فتاة الله** بالحُسنى فلم تَشَأْ. إذْ ذاك تَحَوَّلَ كُلُّ ميلِهِ إليها إلى **حِقْدٍ** عليها. ويقال أنَّهُ ابتدع دولابًا مُسَنَّنًا بشفراتٍ حَادَّةٍ لتعذيبها. ولمَّا شَاءَ جَعْلُ **كاترينا** على الدولاب، تَفَكَّكَ ذاك الدولاب وَتَكَسَّر وتناثرت قطعه. وإذْ ظَنَّ **الإمبراطور** أنَّ ذلك كان بتأثير السِّحر الذي كانت الفتاة تتعاطاهُ أَمَرَ بإعْدَامِهَا، فقطعَ الجَلَّادُ رأسها. هذا وقد وجد نُسَّاك **رفاتها** على قمة جبل سيناء في أوائل القرن الثامن للميلاد. ومنذ ذلك الحين صار **دير سيناء يعرف بدير القدّيسة كاترينا**. أمَّا كيف انتقلت رفات القديسة إلى قمة الجبل فليس واضحًا تمامًا. ثَمَّة من يقول إنَّ النسّاك عرفوا بأمرها إِثْرَ رؤيا وأنها انتقلت إلى هناك من الإسكندرية، حيث استشهدت، بواسطة ملائكة. من جهة أخرى، يُذكر أنَّهُ لا سجلات باقية بشأن **القديسة كاترينا** ولا ذِكْرَ لها قبل القرن الثامن للميلاد. **والقديس سمعان المترجم**، في القرن العاشر للميلاد، هو من كتب هذه السيرة.

حول أيقونة القديسة كاترينا:

يظهر الى جانب **القديسة كاترينا** في ايقونتها، «**دولاب**» و«**كرة**» و«**كتب**».

–يَرْمُزُ **الدُّولاب** الى «**اداة التعذيب**» التي اراد **الإمبراطور مكسيميانوس** (٣٠٥–٣١١م) انْ يعذبها بها. إذْ أَنَّهُ ابتدعَ دولابًا مُسَنَّنًا بشفراتٍ حَادَّةٍ لتعذيبها. ولمَّا أمر بوضعها على الدولاب تفكّك وتكّسر وتناثرت قطعه.

– تَرْمُزُ **الكُتُب** الى «الفلاسفة والحكماء والعلماء» الذين ناقشتهم **القدّيسة** وافحمتهم.

– تَرْمُزُ **الكُرَةُ** إلى «العالم»، ويقال إنَّ مناقشة **القدّيسة** مع الفلاسفة دارت حول «تكوين العالم»، وقد أقنعتهم بالمسيحيَّة وبأن «**الله** خَلَقَ العالم مِن العَدَمِ»، في حين كان **ديمقريطس** (٤٣٠ ق.م)، مثلًا واتباعه مِن فلاسفة اليونان يقولون بخلق العالم والمادة والرُّوح مِن «الذرات» غير القابلة للانقسام.

مِن هنا تُلقّب **القدّيسة كاترينا** «**بالكليّة الحكمة**» وذلك أنَّها جادلت الحُكماء وأفحمتهم وأقنعتهم.

صورة من الخاتم تعطى تباركاً لحجاج دير القديسة كاترينا، تخليداً لذكرى الخاتم الذي تسلمته من المسيح (المصدر)

نحنُ لا نعبد مَخْلُوقًا، حَاشَا !

لأنَّ مثل هذا الضَّلال إنَّما هو خاص **بالوثنيِّين والآريوسيِّين**. ولكنَّنا نَعبدُ **رَبَّ الخليقة كلمة الله المتجسد**. لأنَّهُ إنْ كان الجسد نفسه، في حَدِّ ذاته هو جزء من عالم المخلوقات، إلَّا أنَّهُ صار جسد الله. فنحن من ناحية، **لا نفصل الجسد عن الكلمة**، ونعبد مثل هذا الجسد في حَدِّ ذاته، ومن ناحية أخرى، فإنَّنا **لا نفصل الكلمة عن الجسد**، ولكنَّنا إذْ نعرف أنَّ: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يو١: ١٤)، فإنَّنا نعرفه **كإله** أيضًا بعد أن صار في الجسد.

وَتِبعًا لذلك، فمن هو **أحمقُ** إلى هذه الدرجة حتى يقول **للرَّبِ**: «**إنْفَصِلْ عن الجسد لكي أعبدك** »؟ أو من هو **عديم التقوى** لدرجة أنْ يقول له مع اليهود الحمقى: « فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا» (يو١٠: ٣٣)؟

ولكن الأبرص لم يكن من هذا النوع، فإنَّهُ عَبَدَ **الله** في الجسد ، وَعَرَفَ أنَّه **الله** قائلًا: «يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي» (مت ٨: ٣)، فهو من ناحية **لم يظن** أنَّ كلمة **الله مخلوق**، **بسبب الجسد**، ومن الناحية الأخرى لم **يحتقر الجسد** الذي كان يلبسه (**الكلمة**) بسبب أنَّ **الكلمة** هو خالق الخليقة. ولكنه عَبَدَ **خالق** الكون كما في هيكل مخلوق، وهكذا **تطهَّر**.

وهكذا أيضًا المرأة نازفة الدم لأنَّها آمنت، فقد اكتفت بِلَمْسِ هُدُبَ ثوبه وشفيت (مت ٩: ٢٠-٢٢).

والبحر المضطرب بأمواجه، سمع **الكلمة المتجسد**، فَكَفَّتِ العاصفة (مت ٨: ١١).

والأعمى منذ ولادته قد شُفي بتفلة **الجسد من الكلمة** (يو٩: ٦).

وما هو أعظم وأكثر غرابة، فإنَّهُ حينما عُلِّقَ **الرَّبُّ** على الصليب فعلًا (لأن الجسد كان جسده، وكان الكلمة في الجسد)، «وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ» (مت٢٧: ٥١-٥٢).

إنَّ هذه الأشياء قد حدثت، ولم يجادل أحدٌ من أولئك، فيما إذا كان يجب على الإنسان أنْ يؤمن **بالكلمة المتجسد**. بل عند رؤيتهم إيَّاه إنسانًا، عَرفُوا أنَّهُ هو الذى خلقهم. وحينما سمعوا صوتًا بشريًّا، لم يكونوا يقولون: **إنَّ الكلمة مخلوق بسبب بشريَّته**. بل بالعكس كانوا يرتعدون، ولم يعرفوا شيئًا أقل مِنْ أنَّه كان ينطق به من هيكل مقدس.

فكيف إذن لا يخاف **عديمو التقوى**، لئلَّا كما أنَّهم لم يستحسنوا أنْ يبقوا **الله** في معرفتهم، ربَّما يسلمهم إلى ذهن مرفوض ليفعلوا تلك الأشياء التى لا تليق (أنظر رو١: ٢٨)، لأنَّ الخليقة لا تعبد المخلوق، وأيضًا هي لم ترفض أنْ تعبد ربّها بسبب الجسد. ولكنها كانت ترى **خالقها** في الجسد، « وانحنت كل ركبة » باسم يسوع، حقًّا، وستنحنى (كل ركبة) «لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ.» (فيلبي ٢: ١٠-١١)، لأنَّ الجسد لم يقلّل من مجد **الكلمة**، حاشا: بل بالأحرى، فإنَّ الجسد نفسه قد تمّجد **بالكلمة**.

والابن الكائن في صورة **الله**، أخذ صورة **عبد**، وهذا لم يُنقِص من ألوهيَّتِهِ، بل هو بالأحرى قد صار بذلك مُخلِّصًا لكُلِّ **جسد** ولكل خليقة.

وإنْ كان **الله** قد أرسل **ابنه مولودًا من امرأة** ، فإنَّ هذا الأمر لا يُسبب لنا عارًا بل على العكس مجدًا ونعمة عُظمَى. لأنَّهُ قد صار إنسانًا لكي يؤلِّهنا في ذاته.

وقد صار (جسدًا) **من امرأة ووُلد من عذراء** كي ينقل إلى نفسه جنسنا (نحن البشر) الذين ضُلِّلنا، ولكي نصبح بذلك «جنسًا مقدسًا، ونصير

شركاء الطبيعة الإلهيَّة» (٢بط١: ٤)، كما كتب **بطرس المُطوب**.

«لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ (**الناموس**) ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رو ٨: ٣).

إذن، **فالكلمة** أخذ جسدًا، لأجل تحرير كُلِّ البشر، ولإقامة الجميع من بين الأموات، ولكي يصنع فداءً من الخطايا .

فأولئك الذين يستخِفُّون بهذا الأمر (الجسد)، أو الذين بسبب الجسد يتهمون ابن الله بأنَّهُ مصنوع أو مخلوق، كيف لا يظهر أنَّهم **جاحدون** للنعمة، ومستحقُّون لِكُلِّ اشمئزاز ونفور؟ فكأنَّهم بذلك يصرخون قائلين لله: **لا تُرسل ابنك الوحيد الجنس في الجسد، ولا تجعله يتخذ جسدًا من عذراء لكي لا يفتدينا من الموت ومن الخطيئة، ولا نريده أن يصير في الجسد لكي لا يقاسي الموت من أجلنا، ولا نرغب في أن يصير في الجسد لئلا يصير بهذا الجسد وسيطًا لنا للدخول إليك فنسكن في المنازل التي في السموات. فلتغلق أبواب السموات، لكيلا يكرّس لنا كلمتك الطريق في السموات بواسطة الحجاب الذى هو جسده. هذه هي الأقوال التى يتفوه بها أولئك الناس بجرأة شيطانية** ... لأنَّ الذين يرفضون أن يعبدوا **الكلمة** الصائر جسدًا، هم **جاحدون** لنعمة صيرورته إنسانًا.

والذين **يفصلون الكلمة** عن الجسد، لا يحسبون أنَّهُ قد حدث فداء واحد من الخطيئة، ولا يحسبون أنَّهُ قد تَمَّ **اندحارٌ للموتِ** .

ولكن على وجه العموم، أين سيجد **الكافرون**، الجسد الذي اتخذه المُخَلِّصُ، منفصلاً عنه، حتى **يتجاسروا** أن يقولوا أيضًا: **إنَّنا لا نعبد الرَّب متحدًا بالجسد بل نفصل الجسد ونعبد الكلمة وحده ؟**

لقد رأى **استفانوس المغبوط** ، **الرَّبَّ** واقفًا في السَّموات، عن يمين الله (أع ٧: ٥٥)، والملائكة قالوا للتلاميذ: «إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أع ١: ١١)، **والرَّبُّ** نفسه يقول مخاطبًا **الآب**: « أريد أن يكونوا هم أيضًا معي على الدوام حيث أكون أنا» (قارن يو١٧: ٢٤). وفي الواقع، إنْ كان الجسد غير منفصل عن **الكلمة** ألَا يكون مِنَ اللازم، أنْ يتخلَّى هؤلاء الناس عن ضلالهم، ومن ثم يعبدون **الآب باسم ربنا يسوع المسيح**، أو إنْ كانوا لا يعبدون ويخدمون **الكلمة** الذي جاء في الجسد، فينبغي أن يُطْرَحُوا خارجًا من كل ناحية، وألَّا يُحسَبُوا فيما بعد مسيحيِّين، بل بالأحرى يُعَدُّوا بين اليهود.

هذا هو إذن، هَوَس (جنون) أو جسارة أولئك الناس. **أمَّا إيماننا فمستقيم وهو نابع من تعليم الرسل وتقليد الآباء ويؤكِّده كُلٌّ من العهد الجديد، والعهد القديم**، حيث يقول **الأنبياء**: «أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ» (مز٤٢: ٣)، «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ» (إش ٧: ١٤)، «الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا.» (مت١: ٢٣)

ولكن ماذا يعني هذا إنْ **لم يكُن** أنَّ الله قد جاء في الجسد ؟

فإن **التقليد الرَّسولي** يعلِّم في قول **المغبوط بطرس**: «فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ» (١بط ٤: ١)، بينما يكتب **المطوّب بولس**:

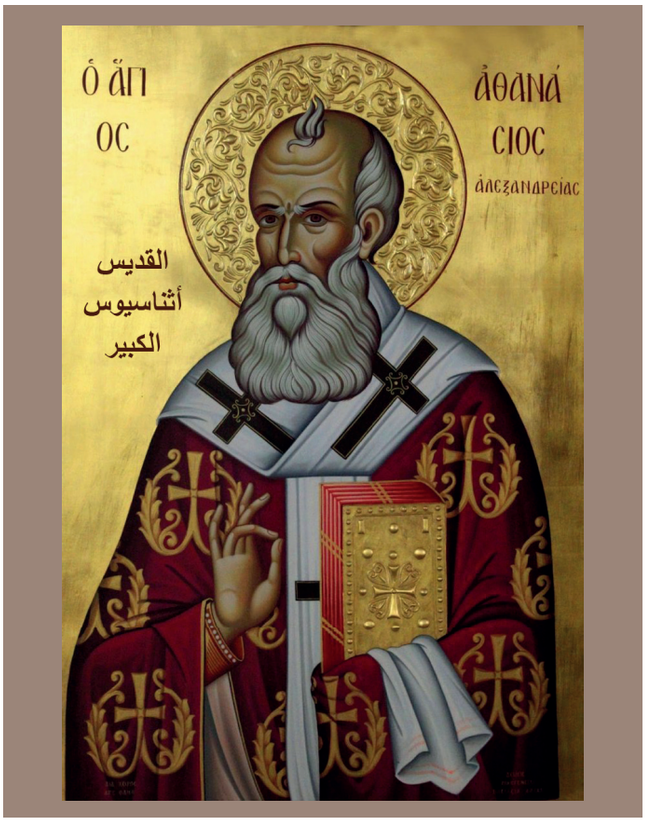

«مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ.» (تيطس ٢: ١٣-١٤).

فكيف إذن قد بذل نفسه لأجلنا، لكي بقبوله الموت في هذا الجسد، يبيد ذلك الذي له **سلطان الموت أي إبليس**. (عب ٢: ١٤).

ولذلك فإنَّنا نقدِّم الشُّكر على الدوام باسم **يسوع المسيح** ، ولا نُبطل النعمة التى صارت إلينا بواسطته. فإن مجيء **المخلص** مُتجسدًا قد صار فدية للموت وخلاصًا لِكُلِّ الخليقة.

لذا أيُّها الحبيب والمشتاق إليه جدًّا، فليضع مُحبُّو **الرَّبّ** هذه الأقوال في عقولهم، أمَّا أولئك الذين يتمثَّلون **بسلوك يهوذا**، ويتخلون عن **الرَّبِّ ليكونوا مع قيافا**، فَلَيْتَهُمْ يتعلَّمون من هذه الأقوال ... وَلْيَعْلَمُوا، أنَّهُ بعبادة **الرَّبّ** في الجسد، **فإنَّنا لا نعبد مخلوقًا، بل كما قلنا قبلًا**، فإنَّنا نعبد **الخالق** الذي لَبِسَ **الجسد المخلوق** ...

أمَّا إنْ كانوا يريدون أنْ يتشبَّثوا بتجديفاتهم فليشبعوا بها وحدهم، وليصرّوا على أسنانهم مثل **أبيهم الشيطان**، لأنَّ **إيمان الكنيسة الجامعة** يقرّ بأنَّ **كلمة الله** هو خالق كل الأشياء، ومُبدعها، ونحن نعرف أنَّهُ «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ» (يو١: ١)، فإنَّنا نعبد ذلك الذي صار هو نفسه أيضًا إنسانًا لأجل خلاصنا، لا كَمَا لو كان هذا الذي صار جسدًا هو مساوٍ للجسد بالمثل، بل (نعبده) كَسَيِّد **آخذًا صورة عبد، كصانع وخالق صائرًا في مخلوق أي (الجسد)** لكي بعد أنْ يُحَرِّر به كُلّ الأشياء ، يقرِّب العالم إلى **الآب**، ويصنع سلامًا لكل المخلوقات سواء التي في السَّموات أو التي على الأرض .

ولذلك فنحن نعترف أيضًا **بألوهيَّتِهِ** التي من **الآب**. ونعبد حضوره المتجسِّد ، حتى ولو مَزَّقَ **الآريوسيون المجانين** أنفسهم.

العرافة والتنجيم والسِّحر

ووجهة النظر المسيحيَّة فيها

المسيح خالق الكون

المسيح الضابط الكلّ

المسيح مبدع الكواكب والأجرام

تمهيد

التَّنَبُؤُ والتَّنجِيم، ظاهرةٌ اجتماعية باتت تنمو باطِّرَادٍ، وتَلْقَى رَوَاجًا بين كافة الأوساط الاجتماعِيَّة بما فيها المؤمنة، والممارسة لطقوسها، وبما فيها الأوساط مختلفة الثقافات والدرجات...

وقد زادت في الفترة الأخيرة ظاهرة التَّنبُؤات، وَكَثُرَ عدد المتنبئين وخاصة **في أواخر كل عام**، نتيجة الأوضاع الشَّائكة التي بات العالم كلُّه يعيشها وخاصة منطقتنا، وساهمت **وسائل الاعلام المَرئيَّة والمقرؤة والمسموعة** في تَوَسُّع انتشارها وكثرة المُدَّعِينَ فيها، **وتنافست الفضائيات** فيما بينها لتَسويق وجودها وحضورها، وبرامجها، باستضافة المتنبئين من حملة الألقاب اللَّامعة، وخاصة منهم الذين ينشرون كتبهم المرتبطة **بالفلك والأبراج...**

وباتَ النَّاس **ينتظرون بفارغ الصبر** هذا المتنبئ او ذاك، لمعرفة ما يحمل الغدُ الآتي، والعام المقبل من أحداث، ويقوم المُتنبئ والمذيع المُضيف في بدء المقابلة باستعراض ماتحقَّقَ من تنبؤاته في العام الحالي المقاربة شمسه على الأفول... **كنوع من التسويق...**

وهنا يشعر الناظر المترقِّب بالإحباط والوجوم إنْ كانت التوقعات سلبيَّة، مع شعور معاكس إنْ كانت التوقعات تحمل الخير، مترافقة بفرحٍ خائف، وَدُعاء من القلب: « **إن شاء الله...**».

ويترافق بسؤال قَلِقٍ، هو: ماذا تخبّئ لنا الأيام المقبلة ياتُرى؟ وما سيكون حظّنا ونصيبنا؟ ما مصيرنا في السَّنة المُقبلة؟

يقول الأب الدكتور جورج مسوح في ذلك:

«من النافل القول، بدءًا، أنَّ معرفة المستقبل هي حصرًا من خصائص الله، جلّ جلاله، وحده **لا شريك له في هذه المعرفة**. والناس يُشْرِكُون، من حيث لا يَدْرُون، حين يُصَدّقون المُنجِّمين والمُنجِّمات، والعرَّافين والعرَّافات، والبصَّارين والبصَّارات، والمتنبِّئين والمتنبِّئات... كيف يُؤمن المؤمنون بأشخاصٍ، ليسوا أنبياء أو مرسلين من الله، أثبتت الوقائع كَذِبَ ادِّعاءاتهم وتوقُّعاتهم؟ كيف يؤمنون **بأنبياءَ كَذَبَةٍ؟**

يتساوى الأذكياء والأغبياء، المتعلمون والأمّيون، أمام فنجان قهوة يَقرأ فيه أحدهم أو إحداهُنَّ طالعهم. يتساوون أمام شاشة تغسل أدمغتهم بتنبؤات يَدَّعيها مُختصُّون **بإيهام** (توهيم) الناس بصواب دقة أقوالهم ومعرفتهم. يتساوون أمام ألعاب المَيْسِر مُصدِّقين أنَّ توزيعًا عشوائيًّا لكميَّةٍ من ورق اللَّعب، أو استقرار كرة مجنونة على رقم معين، هو ما يكشف لهم مستقبلهم ومصيرهم».

يبحث الإنسان بوسائل مُلتوِيَةٍ شتى عن مصيرِهِ، غير عارف أنَّهُ هو شخصيًّا عليه أنْ يُسهم في تحديد هذا المصير، والسُّلوك بمقتضاهُ لتحقيقِهِ. وليس **سوى الكسول والخامل والمستقيل من المبادرة**، ينتظر انتظارًا سلبيًّا لِمَا سيكون عليه مُستقبله. فهل علينا أنْ نَبْقَى بلا فعل أمام الكلام على الفتنة والحرب والاغتيال والتهجير... أم نستطيع أنْ نفعل شيئًا لقطع دابر الفتنة وإحلال السَّلام مكانها؟ كيف نَعْبُر من حالة اللافعل إلى حالة الفعل؟

وبرأينا أنَّ هذا القلق والوَجَل يلازمان حالة اللَّاإيمان عند الناس، أَو بعبارة أقل كُلفة، هي **الإيمان المتزعزع**...، والمترابط مع الحالة المعاصرة بأحداثها المؤلمة، والمترافقة بسؤال حتى مِنَ المؤمن نفسه:« لِمَ يسمح الله بحدوث ذلك؟»، لذا ينصرفون الى تصديق **كَذِبِ الكَذَبَةِ الفلكيِّين وحذاقة المتنبئين**...وفي الاسلام:«كَذَبَ المنجمون ولو صدقوا.».

ملحوظة: في سفر اعمال الرسل، أوضَحَ السيِّد يسوع المسيح لتلاميذه الأطهار، عدم معرفة المستقبل: «فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ» (أع١:٧).(**جمعية نور المسيح**)

التنبؤ والتنجيم عبر التاريخ:

مُنْذُ القِدَمِ، عانَى الانسان الخوف والقلق من الكونِ وظواهرِه الغريبة، والمُرعبة والكارثيَّة من زلازل وهزَّات أَرْضِيَّة وتفجُّر براكين وسقوط نيازك تُشْعِلُ الحرائق... الخ، وعزَّاها إلى ماهو موجود في السَّماءِ التي باتت شغله الشاغل، وهي القوة المخيفة الميتافيزيقية، بات ينظر الى السَّماء ذلك الرَّحب البعيد اللامتناهي، وخاصة في الليل، حين تتلألأ السَّماء بالنجوم، وانوارها الدقيقة والبعيدة، الّذي سمَّاه بعضهم «هلعًا كونيًّا» لأنَّهُ يشمل الكُلّ، والّذي وصفه بعضهم الآخر بالخوف من المستقبل المجهول، من الأحداث الطارئة، من الموت والمرض، من قوى الطبيعة المستبِدَّة، ومن الآلهة المستَبِدة. لقد وَعَى الإنسان منذ صِغَرِهِ في هذا الكون الهائل، المترامي الأطراف، ومدى ضعفه في مواجهة نائبات الدَّهر. سَحَرَتْهُ السَّماء بكواكبها ونجومها المتألِّقة، ورأى في تعاقب الليل والنهار نظامًا دوريًّا للطبيعة لا خلل فيه، **فألَّهَ** الأفلاكَ وَعَبَدَها، واقام لها تماثيلَ ومعابدَ وقدَّم لها الذبائح لاسترضائِهَا، كما سجَّل تحرّكاتها على أنَّها علامات أكيدة للأزمنَةِ الآتية. ومنها كانت **تحقيق الحادثة المُعجِزة ميلاد الطفل الالهي، والمنتظرة من علماء الفلك في المشرق.** هذا الانتظار، كان نتيجة **إلهام ربنا** لمجوس المشرق، فنبَّهَهُم بالنِّجم الوَضَّاء والأَشَدّ لمعانًا الذي ظَهَر فجأةً، إلى ماكانوا يتعاقبونه كموروث من السلف الى الخلف، ألَا وهو مولدُ عظيمٍ، كانوا يترقبون مجيئه منذ اجدادهم، وهو ظهور هذا النَّجم المُتميِّز الذي تبعوه حتى أَوْصَلَهُم إلى مغارة بيت لحم، فشاهدوا العظيم المنتظرَ، لأنَّهُ وفق قناعاتهم كان لكل انسان نجم يولد بمولده ويعيش معه ويموت بموته... والطفل المنتظر، هذا المنتظر من أجدادهم إلى آبائهم إليهم، هذا المولود الذي كان عظيمًا، لذا كان نجمه أشد لمعانًا وَضِيَاءً، وقد تحقَّقت نبؤتهم بمولِدِهِ، لذا قدموا له الهدايا بعد مسيرٍ طويل من بلادهم...

ملحوظة: النجم الذي ظهر للمجوس، واقتادهم رويدًا رويدًا ، هو عمل الرُّوح القُدُس، الذي كان يتعامل مع مقتضيات السفر، مرافقًا المجوس عن كثب. (انظر كتاب عظات ميلاديَّة للقديس يوحنا الذهبيّ الفم: إصدار جمعية نور المسيح سنة ١٩٩٦).

وكان **الرَّبّ** قد أنعم عليهم **بالمعرفة الماورائيَّة** التي تجلَّت نتيجتها بهداياهم التي قدموها له، وهي **البخور** لكونه كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق، **وذهبٌ** لكونه ملك، **وطيوب ومُر** عن آلامه التي كان مُزْمَعًا أنْ يكابدها، والتي انتهت بصلبه وموته على الصليب، ثم تطييبه بالطيوب ودفنه وقيامته من بين الأموات، على ما في الكتب، وكما عَرَفها منذ أجيال علماء الفلك الآتين من بعيد، وما بشَّر به **انبياء العهد القديم**: «وَلكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ» (إش٧: ١٤).(اشعياء النبي وقبل ثمانية قرون...)، وأيضًا:«هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا.» (مت١: ٢٣).

جميع الحضارات على مَرِّ العصور البابليَّة والمصريَّة والاغريقيَّة والفارسيَّة والصينيَّة...الخ ، كشفت الطالع والفأل، مستعينة بركائز مادّيَّة، وعلامات خارجيَّة في الطبيعَةِ، أكانت أفلاكًا أم حجارةً أم مياهًا. وإذا طَالَعَنَا تاريخ اليهود، وجدنا أنَّهم هُم أيضًا قد تعاطوا هذه الممارسات الّتي سَمَّوها «**ممارسات الأمم**»، ويُخبرنا الكتاب المقدّس عن **أنبياء الله** الّذين حذّروا من كلِّ هذه المَعصيات الّتي انجرف إليها الشَّعب بأوامر من ملوكهم أحيانًا، والّتي حرَّمتها **شريعة موسى** المُوْحَى بها من الله وخاصة الوصايا العشر.

أمَّا عِلْمُ التَّنجيم فهو مجموعة من الأنظمة والتقاليد، تُوفِّر معلومات عن الشَّخصيَّة، والشُّؤون الإنسانيَّة، وغيرها من الأمورِ الدنيَوِيَّةِ. ويُسمَّى من يعمل في علم التَّنجيم بالمُنَجِّم، والعلماء يعتبرون التنجيم من العلوم الزائفة أو الخرافات، وأنَّ المنجّمين هم كَذَبَةٌ يدَّعون المعرفة...

وظهرت العديد من التقاليد والتطبيقات التي تستخدم المفاهيم الفلكيَّة منذُ البدايات الأولى لذلك العلم خلال الألفيَّة الثالثة قبل الميلاد. وَلَعِبَ عِلْمُ التَّنجيم دورًا هامًّا في تشكيل الثَّقافة، وكذلك عِلْمُ الفلك الأوَّل، **والفيدا (وهو الكتاب الذي يخصُّ الدِّيانة الهندوسيَّة)**، والعديد من التخصُّصات المختلفة على مَرِّ التاريخ.

في الواقع، لم يكن مِنَ السَّهْلِ التمييز بين عِلْمَي الفَلَكِ والتَّنجيم، ما قبل العصر الحديث، بالإضافة إلى وجودِ الرَّغبةِ للمعرفةِ التنبُؤيَّةِ، والَّتي تُعَدُّ واحدةً من العواملِ الرَّئيسَةِ الدَّافِعَةِ للرَّصدِ الفَلَكِيّ. وبدأ علم الفلك يتباعد عن علم التَّنجيم بعد فترة من الانفصال التدريجي. تبدأ في عصر النهضة، وحتى القرن الثامن عشر. وفي النهاية، مَيَّزَ علم الفَلَك نفسه باعتباره دراسة الأجرام الفَلكيَّة والظَّواهر دون اعتبار للمفاهيم الفَلكيَّة لتلك الظواهر.

ويعتقد المنجمون، أنَّ تحركات ومواقف الأجرام السَّماويَّة، تُؤَثِّر مُباشَرَةً على الحياة فوق كوكب الأرض، أو أنَّها تتطابق مع الأحداث الإنسانيَّة. ويُعَرِّف المنجِّمون المعاصرون علم التَّنجيم، بأنَّهُ هو لغة رمزية أو شكل فني، أو نوع من أنواع التَّنبُؤ بالمستقبل، وعلى الرَّغم من اختلاف التعريفات، هناك افتراض سائد بأنَّ موضع النجوم السَّماوية، يمكن أن يساعد في تفسير أحداث الماضي والحاضر، كما والتنبؤ بأحداث المستقبل.

في القرن السادس عشر، ظهرت «**نبوءات نوستراداموس**» الّذي كان يُسمّي نفسه «**الطبيب المنجّم**» لأنَّه كان يعتمد على الحسابات التنجيميَّة الفَلَكِيَّة، ليُحَدِّد تَوَقُّعاتِهِ الّتي جاءت **مُبطَّنة، غامضة** يمكن تطبيقها على أحداث وحقبات تاريخيّة مختلفة.

كما اشتهرت أيضًا في القرن ذاته، **نبؤات** نُسبت إلى القدّيس ملاخِيَا، الأسقف الإيرلنديّ والتي تعود الى زمانه في القرن الثاني عشر المسيحي. لا شكّ أنّ لهذا القدّيس مواهب روحيَّة، ولكن هذه **النبؤات** نُشرت بعد أربعة قرون على وفاته، ممّا جعل الباحثين يَشُكُّون في صِحَّةِ نسبتها إليه. وفي القرن العشرين، استعادت «**الأرواحيّة**» (وهي تيار فلسفي، تؤمن بالتواصل مع الأشباح)، أمجادها الغابرة مع «**آلان كاردك**» الفرنسي، الملقّب **بأبي الأرواحيّة الحديثة**، كما ازدهرت **العِرّافة** على أنواعها، وعاد الاهتمام بالظواهر الخارقة بما سيُعرف «**بالباراسيكولوجيا**».

اليوم، تَلقَى هذه المُمارسات رَواجًا منقطع النظير، وبخاصَّة في مجتمعاتنا المسيحِيَّة. فتتهافت كما اسلفنا، جميع وسائل الإعلام وتتسابق لاستقبال **المنجّمين والعرّافين، قارئي الكفّ والفنجان والورق،** فتُكشِف للمُشاهدين تَوقُّعات أبراجهم، وتُفسَّر لهم أحلامهم. لقد أضحت هذه المُمارسات، **زيًّا رائجًا وتجارةً مُربحة ونهبًا مشروعًا،** وتُساهم جميعها في **تفريغ** ما تبقّى **من قِيَم وعاداتٍ وأخلاقًات وَتَدَيُّن،** مُروِّجةً لِبِدَعٍ وممارسات، أقلُّ ما نقول فيها أنَّها لا إنسانِيَّة، ولا إيمانِيَّة، وإنْ ادعى العرَّافون والمتَنبِّؤن بأنهم لا يستطيعون كشف ما أعده **الله** للبشر، وأنهم مؤمنون بالمطلقين. (طَلَقَ: فعل = تحرَّرَ من قيده).

وجهة نظر الكتاب المُقَدَّس في التنجيم والعِرَافة:

أَوَّلاً العهد القديم:

في جميع **أسفار العهد القديم**، نرى أنَّ علاقة **الإنسان بالله** لم تكن علاقةً مِثاليَّة، وأنَّ «العهد أو الميثاق» الّذي أقامه **الله** مع **الإنسان**، قد **نَقَضَهُ** هذا **الإنسان** مرّاتٍ عِدَّة. فتارةً هي علاقة انسجام ووفاق وسلام، متى سار **شعب الله** بحسب الشريعة والوصايا الإلهِيَّة، وطورًا هي خصامٌ وتنافر وحروب، متى نقض **شعب الله** العَهْدَ، وَعَصَى الأوامر الإلهِيَّة، فسار في طُرُقٍ مُعْوَجَّةٍ، ليست هي طُرق **الله** القَويمة. نذكر على سبيل المثال: **خطيئة منسى الملك** (٢ أخبار ٢٣ / ٢ — ١٣) الّذي عبد الكواكب والنُّجوم، فَشَيَّدَ لها في بيت **الرّب مذابح، كما لجأ إلى السَّحرة والعرّافات.** وكذلك **الملك شاول** الّذي **عصى** الوصايا الإلهِيَّة فاستشار **عرّافة عين دور**، بعدما ملأ قلبه الخوف من جيوش الفلسطينيّين الّذين احتشدوا لقتاله.(١ صم ٢٨:).

لابُدَّ هنا من توضيحِ مفهومٍ مهمٍّ جدًّا، يختلط على الكثيرين من المؤمنين. فإنّهم لا يميّزون بين التنبّؤ كموهبةٍ روحِيَّة يهبها **الرُّوح القُدُس** لمَن يشاء لخير الجماعة، تلك الموهبة الّتي تكلّم عنها **بولس الرسول** في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس (فصل١٢)، وهي ضمن المواهب الرُّوحانِيَّة، أمَّا **تنبُّؤ العرّافين والمنجمين** الّذين سمّاهم الكتاب: «**أنبياء الأصنام**»، فهي تنبُّئات ليست من وحي **الرُّوح القُدُس**. كما وذَكَرَ الكتاب المقدَّس أمثالًا كثيرة حول التَّنبؤ كموهبةٍ روحيّة من **الله: النبي أغابوس** الّذي تنبّأ بالقبض على **بولس الرسول** وحذّره منه (أعمال الرسل٢١:١١). وكذلك **أنبياء العهد القديم** الّذين أنبَأوا بكلمة **الله**، وحذّروا من خطر **عصيان** الوصايا الإلهِيَّة. يوضِّح **الرسول بولس** أنَّ موهبة التنبّؤ، بالرَّغم من أنّها من وحي **الله**، تظلّ محدودة لأنّ: «معرفتنا ناقصة، نُبوّاتنا ناقصة، فمتى جاء الكامل زال الناقص.» (١كور ١٣:٩-١٢).

لكن علينا أن نُميّز بين علم الفلك الفيزيائيّ «Astronomy»، والتنجيم «Astrology»، فالأوّل هو العلم الّذي يَدْرُس وضعِيَّة الأفلاك السَّماوِيَّة، وتحرّكاتها وطبيعتها المادِيَّة بهدف وضع قوانين علمِيَّة لها. أمَّا الثاني أو ما يُعرف **بالأوروسكوب، أو الزودياك أو الأبراج**، فهو وسيلة من وسائل العِرَافة، يحاول أنْ يعرف ويُحدِّد تأثير حركة الكواكب والنُّجوم في الحياة الأرضِيَّة بهدف التنبُّؤ بالأحداث المستقبليَّة. ويتبيَّن لنا من هذين التعريفين أنَّ الفرق شاسع بين **التنجيم، وعلم الفلك.** فعلم الفلك هو علمٌ دقيقٌ، يخضع لمنهج علميّ واضح، ضمن معايير علمِيَّة مُعترفٌ بها، هدفه دراسة الأفلاك والأجرام السَّماوِيَّة ولا يفتّش البتَّة عن أيّ تأثير لها في الحياة الأرضِيَّة. وإنَّ الكنيسة قاطِبَةً تؤكِّد على دعم هذه العلوم، وكلّ تقدُّم تقنيّ غايته الأولى والأخيرة خدمة الإنسان بكلّيته، ولعلَّ مرصد الفاتيكان الفلكيّ خير دليل على موقف الكنيسة.

ثانيًا العهد الجديد وتعليم الكنيسة:

عندما يلجأ الإنسان إلى التَّنجيم فهو لا إراديًّا، يعترف بأنَّ للنُّجوم والكواكب سلطة على حياته، بما أنَّها تُسَيِّرها بحسب مساراتها واوضاعها الفلكِيَّة، وبالتالي فهو يعيد ممارسة وثنِيَّة، أَلَا وهي عبادة الكواكب والنُّجوم بطريقةٍ غير مباشرة. وعندما يستعين بالعِرَافة يُنكر أنَّ **لله** سلطة **على حياته**، أو بتعبير آخر، يُلغي **الله من حياته**. وأنَّ الانسان ليس سَيِّد نفسه وسيِّد مصيره، بل هو خاضِعٌ وَمُسَيَّر بطريقَةٍ عَمْياءَ لِقَدَرِه، بناءً على تاريخ ميلاده، اي أَنَّ التنجيم يُنكر عناية **الله بالإنسان**، وأَنَّ موقع النُّجوم عند ولادته يسيطر على مصيره وعلى شخصِيَّتِهِ، وانَّهُ بالتالي خاضع لهذا المصير، ولا يمكن ان ينجو منه، وأَنَّ التنجيم ينكر عناية **الله بالإنسان**، ويستبدل العنَايَة الالهِيَّة **بِقَدَرٍ أعمى**، وهو مجرد دُمية في يد القدر الأعمى مُتَنكِّرًا لدور الرُّوح والارادة البشريَّة الحُرَّة، ولدور العنَايَة الالهِيَّة في صنع المصير البشري...

منذ بداية الخَلْقِ، جعل **الله** الخليقة كلّها في خدمة **الإنسان**، لأنَّه إلٰهٌ بالنِّعمة وشريكٌ في الحياة الالهِيَّة. أمّا خلق النيِّرات فهو لتحديد الأزمنة والأوقات والفصول فقط «فصل الليل عن النهار» (مز١٠٤:١٩). وإذا أردنا أنْ نستشْهِد بآيات تُندِّد بممارسة التَّنجيم، من بداية **العهد القديم**، حتى **سفر الرؤيا** لضاقت هذه الصفحات، وعلى سبيل المثال لا الحصر:(٢ملوك ١٧:١٦، تك ١١:٤، حكمة ١٣، تث ١٨، أحبار ١٩:٢٦، أعمال ١:٧، أع ٨:٩). فلا عُذْرٌ لنا بعد اليوم، نحن الّذين عرفنا الإنجيل، وأُبْلِغْنَا الرِّسالة السَّماوِيَّة وآمنا بالفداء بذبيحة الفادي على الصليب التي تمت لأجل خلاص الانسان، وتقديسه وتأليهه، فلنفرح على الدوام، ولنصلِّ بلا انقطاع، لأنّ **الله** صادق يفي بمواعده، وسوف يُتمِّمُ كلّ ما كلّمنا به.

يقول **القديس يوحنا الدمشقي**:« إذا كُنَّا نعمل أعمالنا كلُّها بدافع من النُّجوم، فنكون نعمل عن اضطرار، وما كان عن اضطرار فليس بفضيلةٍ، أو برذيلةٍ، وإذا لم نَقْتَنِ فضيلة ولا رذيلة، فلا نستحق ثوابًا ولا عقابًا».

الكنيسة منذ البداية رفضت التنجيم والعِرَافة وربطتهما بالوثَنِيَّة، واعتبرتهما شكلًا من أشكالها، ويتعارضان بالمطلق مع **إيماننا المسيحي**... أمَّا علم الفلك فمختلف، ولَوْلَاهُ لما اعتمدت التقويم اليولياني واليوليانى المصحح، ولا الغريغوري...

إنَّ دور الكنيسة كونها هيكل **الرُّوح القُدُس**، وجسد **المسيح** السِّرِيّ، ليس فقط أن تُؤدِّي الشَّهادة الإنجيليَّة، بل أنْ تدعو إلى عيشها وأنْ تحفظ الإيمان. وإنَّهَا تُحظِّر في تعاليمها كُلّ الممارسات الوثنِيَّة بما فيها التَّنجيم والعِرَافة، وتُحذِّر مِنَ الوقوع فيها وتقول في تعليمها:

❋ إنَّ الله يستطيع أنْ يكشف المستقبل لأنبيائِهِ أو لغيرهم من القدّيسين. إلَّا أنَّ الموقف المسيحيّ الصحيح، يقوم على تسليم الذّات بثِقَةٍ بين يَدَيِ العِنايَةِ الإلهيَّة، فيما يتعلَّق بالمستقبل، وَتَرْكِ كُلِّ فضولٍ فاسدٍ من هذا القبيل.

❋ يجب نَبْذُ جميع أشكال **العِرَافة، واللجوء إلى الشيطان أو الأبالسة، واستحضار الأموات، أو الممارسات الأُخرى المفترض خطأً أنّها تكشف المستقبل. فإنّ استشارة مُستطلعي الأبراج والمنجّمين وقارئي الكفّ** ...، هي على تناقضٍ تام مع ما للهِ وحده علينا من واجب الإكرام والاحترام الممزوج بالرَّهبَةِ المُحِبَّة.

❋ جميع **ممارسات السِّحْرِ، أو العِرافة** الّتي يزعمون بها ترويض القوى الخفيّة لجعلها في خدمة الإنسان، والحصول على سلطة فائقة الطبيعة على القريب — حتى وإن قُصِد بها توفير الصحّة له — إنّما هي مُخالفةٌ جسيمةٌ لفضيلة الإيمان المسيحي.

❋ إنّ تأثير النيِّرات في الحياة الأرضيَّة لا يتعدَّى المستوى الفيزيائيّ، وهو نسبيٌّ للغاية. إنَّه تأثيرٌ محدودٌ، ولا يَطالُ مجال الإرادة والحُرِّيَّةِ الشخصيّتين. إنّ ممارسة هذه الوسائل«**الوثنيَّة**» هي استعباد للإنسان المدعوّ إلى عيش الحقّ الّذي يُحرّره. فالحريّة الحقيقيَّة، ليست في الانجراف وراء ميول النفس وأهوائها، بل هي في الانضواء تحت راية **المسيح** المُخلص، والاعتراف الصريح بقدراته الإلهيَّة اللامتناهية، بأنَّهُ **الرَّبّ والمخلّص الوحيد** الذي غلب العالم.

❋ إنَّ ممارسة التَّنجيم والعِرَافة، هي نقضٌ «للعهد» أو «الميثاق» الّذي أقامه **الله مع الإنسان**. هي انتقاص من حُرِّيَّة الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله، الوكيل الّذي سلّطه **الرَّبّ** على كُلِّ المخلوقات، كما حياتنا، فعلى ماذا يُحاسبنا الله؟ أيُحاسب أناسًا مُجبرين غير مُخيَّرين؟ ومَن نعبد؟ **الله أم الأفلاك؟**.

يقول **القدّيس بولس الرسول**: «فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ. وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ، مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ.» (أفسس ٥: ١٥-١٩)

نعم، **الأيام شرِّيرة**، ولسنا في حاجة إلى إثبات ذلك، فنحن نحيا في جحيم يبدو ألَّا قرار له في اوطاننا وايماننا ولقمة اولادنا وفي أَمْنِنَا... فهل نستسلم لمصيرنا أم لدينا ما نفعله لوقف هذا السُّقوط السَّريع نحو الهاوية؟

يقول **الرَّبّ يسوع** له المجد: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ».(لوقا٤: ١٨-١٩). فإذا لم يكن في استطاعتنا أنْ نوقف الضَّرر الآتي في العام المقبل، ومايتلوه من ذبح وقتل وعنف ودماء ودمار، فباستطاعتنا أن نكرّس أنفسنا لخدمة المحتاجين الينا، الإخوة المساكين والمنكسري القلوب والمأسورين والمرضى والمهشّمين واليتامى... وما أكثرهم.

هؤلاء المساكين هم نصيبُنا، هم بابُ خلاصنا، هم الأنبياءُ والقدّيسون والأبرار، وليس المُنجِّمون هم مَن يُحدِّد نصيبنا. نصيبنا تفرضه علينا توبتنا وعودتنا إلى الله، وصلاتنا وصومنا، وخيارنا بأن نكون أُناسًا جُدُدًا على صورة الله ومثاله، لا بالكلام بل في الواقع مهما كان أليمًا. هذا نصيبنا، هذا صليبنا، وسنحمله إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

خاتمة

الرَّبُّ يسوع المسيح، هو سيّد الماضي والحاضر والمستقبل. فيه تمّتْ النبوءات وخُتمتْ جميعُها. وحده هو النَّجمُ الحقيقيّ الّذي سجد له المجوس المنجّمون الذين بَطُلَتْ أعمالُهم. وبقيامته، عرفنا أنَّ الموت ليس إلَّا عبورًا إلى الحياة الأبديَّة. فلا خوف مع **المسيح**، ولا هلع من الغد الآتي، بل نحن نُردِّد مع بولس الرسول: «لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ. ... لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا.» (فيلبي ١: ٢١-٢٣)

مصادر البحث

❋ **الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد**

❋ **العرافة والتنجيم، (دراسات يسوعية)**

❋ **الأنبياء الكذبة، الأب الدكتور جورج مسوح**

❋ **ويكيبيديا**

«وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ السِّحْرَ يَجْمَعُونَ الْكُتُبَ وَيُحَرِّقُونَهَا أَمَامَ الْجَمِيعِ. وَحَسَبُوا أَثْمَانَهَا فَوَجَدُوهَا خَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الْفِضَّةِ.» (أع ١٩: ١٩).

وَكَانَ قَبْلاً فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ، يَسْتَعْمِلُ السِّحْرَ وَيُدْهِشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ، قَائِلاً إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ!. وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتْبَعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ:«هذَا هُوَ قُوَّةُ اللهِ الْعَظِيمَةُ». وَكَانُوا يَتْبَعُونَهُ لِكَوْنِهِمْ قَدِ انْدَهَشُوا زَمَانًا طَوِيلاً بِسِحْرِهِ. وَلكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رِجَالاً وَنِسَاءً.... وَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَدْ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللهِ، أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، اللَّذَيْنِ لَمَّا نَزَلاَ صَلَّيَا لأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَمِدِينَ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. حِينَئِذٍ وَضَعَا الأَيَادِيَ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. وَلَمَّا رَأَى سِيمُونُ أَنَّهُ بِوَضْعِ أَيْدِي الرُّسُلِ يُعْطَى الرُّوحُ الْقُدُسُ قَدَّمَ لَهُمَا دَرَاهِمَ قَائِلاً:«أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هذَا السُّلْطَانَ، حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ». فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ:«لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ».

١) مقدّمة

يَجدُر بالإنسانِ حين يَتعرَّض لمرضٍ ما أن يتعرَّفَ عليه، فإنَّ هذه المعرفة تُفيدُ في الشفاءِ ... تَعَرُّفُهُ عليه لا يفيده فقط في البُرْءِ منه، بل ويقيه في المستقبل فلا يتعرَّض للمرَضِ مرَّة أخرى.

لهذا فإنّني أشرح لمرضى «**العثرة**» (**يقصد بمرض «العثرة»، التعثُّر في إدراك عناية الله ومحبته أثناء دخولنا نار التجربة.**) عِلَّة هذا المرض، حتى متى تَعَرَّفوا على عِلَّتِهِ واهتمُّوا بالوِقَاية منه، أمكنهم الشِّفاء منه ومن غيره من الأمراض التي يرضَخون تحتها الآن، كما تُحصِّنهم ضِدَّ ما قد يحلُّ بهم مستقبلاً...

والعثرة لا يسقط تحتها الضُّعفاء لِعلَّةٍ أو اثنتين أو ثلاث وإنّما لِعِلَلٍ كثيرة.

أمَّا غاية حديثنا فهو إنقاذ الذين سقطوا فريسة لهذا المرض متى قبلوا نصائحنا وعملوا بها. نحن لا نُقدِّم العلاج من الكتاب المقدّس وحده، وإنّما ممَّا نختبره عَمَلِيًّا في الحياةِ بصورةٍ متكرِّرَةٍ...

لكنَّني لا أَفتُر عن أنْ أُكرِّر أنَّ هذا العلاج ليس ملزمًا بالقوَّة بالنسبة للرَّافضين له، مستهينين بالوصايا الإلهيَّة وقوَّتها التي تفوق ما نتعلَّمه خلال خبرتنا العَمَلِيَّةِ. إذْ يليقُ بنا أنْ نؤمن أنَّ مواعيد الله جديرة بالثِّقَةِ فوقَ كُلِّ ما هو منظور. أمَّا من لا يَقْبَلْ الإصلاح فإنَّهُ يسقط **تحت الدَّينونة** غير منتفع بالكتاب المقدّس الذي تَكمُن فيه كُلُّ منفعَةٍ.

لِنُسْرِعْ إذن بإصلاح الذين يَتعثَّرون بسبب الضِّيقِ، ناسين عناية الله وَحُبَّهُ، فَنُجَنِّبُهُم السُّقوط تحت هذه **العقوبة**، مُوَضِّحين لهم عِلَّةَ دائِهِم.

٢) أحكام الله:

ما هي عِلَّة هذا الخطر العظيم: تَجاهل عناية الله؟!

إنَّهُ طيشُ الفِكر وفضوليَّتَهُ. إشتهاء تفهُّم كُلّ عِلَلِ الأحداث التي تحلُّ بنا، والرَّغبة في مقاومَةِ عناية الله غير المُدركة وغير المَوْصُوفة، تلك العناية الفائقة لكُلِّ فَحصٍ واسْتقصاءٍ! ومع هذا لا يخجل الإنسان من هذا الموقف الفضولي المملوء تهوُّرًا.

تُرى مَن فاق **بولس** في حكمتِهِ؟ أخبرني، أَلَمْ يَكُن إنَاءً مختارًا؟ أَلَمْ يأخذ نعمة **الرُّوح الفائقة** غير المنطوق بها؟ أَلَمْ يتكلَّم **المسيح** فيه؟ أَلَمْ يكشف **الله** له عن أمورٍ لا يُنطق بها؟ أَلَمْ يسمع ما لا يحقّ لإنسان أن ينطق به؟ أَلَمْ يُختطف إلى الفردوس ويرتفع إلى السَّماء الثالثة؟ أَلَمْ يجُبِ البحار والبَرَّ يجذب **الوثنيّين** إلى المسيحِيَّة؟ أَلَمْ ينل من مواهب **الرُّوح** المتنوّعة؟... ومع هذا كلِّه، فإنَّ هذا الرَّجُل بِعَظمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُوَّتِهِ وامْتِلائِهِ بالرُّوحِ – إذْ خصّه **الله** بهذه الامتيازات، عندما يتطلّع إلى عناية **الله**، لا في كل جوانبها، بل في جانبٍ واحدٍ منها، تأخذه الدَّعْوَةُ مُنسحقًا، ويتراجع سريعًا خاضعًا **لله** غير المدرك. فإنَّهُ لم يبحث عن عناية **الله** بالملائكة ولا رؤساء الملائكة أو الشَّاروبيم والسَّارفيم وكُلّ الطغمات غير المنظورة، ولا في عنايته بالشَّمس والقمر والسَّماء والأرض والبحر، ولا في سهره على الجنس البشري بأكمله وآهتمامه بالحيوانات غير العاقلة والزَّرع والعُشب والأهوِيَة والينابيع والأنهار... لكنه عناية **الله** الخاصة باليهود واليونانين وأفاض في بحث النقطة، وشرح كيف دَعَا **الله** الأُمم وَرَفْضَ اليهود، ثُمَّ أوضح كيف حقَّق الخلاص... وحينما ادرك هذا، آكتشف **الرسول** أنَّهُ أمام **محيط واسع**، وإذ حاول فحص أعماق هذه العناية آرتجف مُتحقِّقًا إستحالة تفسير عِلَلِهَا، وارْتَعَبَ قدَّام عنايته اللانهائيَّة غير المحدُودة ولا موصُوفة ولا مفحُوصة ولا مُدركة، فتراجع في مهابة مُتعَجِّبًا، وهو يقول: «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ!» (رومية ١١: ٣٣)

لقد أوضَحَ بعد ذلك، كيف تَلامَسَ مع أعماقها، دون أنْ يفلح في استقصائها، قائلًا: «مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ؟!» (رومية ١١: ٣٣)

إنَّهُ لم يَقُلْ أنَّ أحكامه بعيدة عن الفحصِ فحسب، وإنَّما بعيدة أيضًا عن الاستقصاءِ. ليس فقط لا يقدِر الإنسان على فَهْمِهَا، بل ولَا حَقَّ له أنْ يبدأ في الاستقصاءِ. يستحيلُ عليه أنْ يُدرك غايتها أو حتى بدءَ تخطيطها؟!

وإذ قال: «مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ؟!»

(رومية ١١: ٣٣) ، أهي حديثه – وقد امتلأ عَجَبًا وَرِعْدَةً – بأنشودةِ شُكْرٍ قائلًا: «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ؟».لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.» (رومية ١١: ٣٤-٣٦).

يُريد أنْ يقول: إنَّ **الله** ينبوعِ كل الخيرات ومصدرها، ليس في حاجة إلى شريكٍ أو مُشيرٍ. هو بَدءُ كُلِّ الخيرات وأساسُها وَمُوجِدُهَا. هو **الخالق**. دعا غير الموجود موجودًا؛ يُدِيرُ ويرتِّبُ وَيحفَظُ كُلَّ شَيءٍ حَسْبَ إرادته! «مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلُّ الأَشْيَاءِ.»، هذه كلمات إنسان يَوَدُّ أنْ يُؤكِّد: أنَّ **الله، خالق** كل الكائنات ومبدعها، **مُدَبِّر** حياتها وحافظها.

وفي موضع آخر يتحدَّث **بولس** عن النعمة الموهوبَة لنا فيقول: «فَشُكْرًا للهِ عَلَى عَطِيَّتِهِ الَّتِي لاَ يُعَبَّرُ عَنْهَا.» (٢كو٩: ١٥)، وأيضًا يُؤكِّد: أنَّ سلام **الله** المعطَى لنا، فائقٌ لكُلِّ نُطْقٍ وَكُلِّ وَصْفٍ وَكُلِّ عَقْلٍ، قائلًا: «سَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ» (فيلبي ٤: ٧).

فإنْ كان عُمق غنى **الله** وحكمته وعلمه بلا حدود، وإنْ كانت أحكامُهُ بعيدةً عن الفحص وطرقه عن الاستقصاءِ، وإنْ كانت مواهِبُهُ لا يُنطق بها، وسلامُهُ يفوق كل عقْلٍ... يفوق عقلِي وعقلُكَ وعقْلَ كُلِّ أَحَدٍ، بَلْ وَعَقْلَيْ بُطرسَ وبُولسَ، وفهم رؤساء الملائكة وكل الطغمات السمائِيَّة، اخبرني أيُّ عذرٍ لك في محاولتك الغَبِيَّة المملوءَة جنونًا، لكي تتفَهَّم ما لا يمكن إدراكُه، محاسِبًا أعمال عناية **الله**؟!

إنْ كان **بولس** الذي أدرك الإلٰهيات بعمقٍ، وامتلأَ رجاءً صادقًا غير منطوق به، وَغَمَرَتْهُ كُلُّ هٰذه المواهب، تَجِدُهُ يتراجع، وإنْ كان قد ٱرتفع فوق حدود طاقَتِهِ، لَعلَّه يفهم، فَلَمْ يقدِر حتى أنْ يُدرِكَ مبادىء تَدابير **الله**. فإنَّ هٰذا مُحالٌ، أَفَلَا يحسب ذاك الذي يريد السَّيرَ في طريقٍ مناقضٍ لترتيب العنايَةِ الإلٰهِيَّة **أشقى الجميع وأكثرهم جنونًا؟!**

بين معرفتنا الحالية ومعرفتنا الأبدية:

لم يكتفِ **الرسول** بهذا، لكنه عندما تعرَّض لمعرفة الأمور الإلٰهِيَّة – **في رسالته إلى أهل كورنثوس** – أكَّد أن معرفته – بالرَّغْمِ مِمَّا ناله منها– لا تزال محدودة **وغاية في الضآلة** إذ قال: «فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ!» (١كو٨: ٢). لقد أكَّدَ لنا أنَّنا الآن نعرف بعض المعرفة، أمَّا الجانب الأَعْظَم مِنْهَا فسنعرفه في الدَّهرِ الآتي: «لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّؤِ. وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ الْكَامِلُ فَحِينَئِذٍ يُبْطَلُ مَا هُوَ بَعْضٌ.» (١كو١٣: ٩-١٠)

وعندما أرادَ توضيح الفَارق بين معرفتنا هنا، ومعرفتنا في الحياة الأخرى لجَأَ إلى هذا التصوير: «لَمَّا كُنْتُ طِفْلًا كَطِفْلٍ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ، وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْطَنُ، وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلًا أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ. فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ، فِي لُغْزٍ، لكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ.» (١كو١٣: ١١-١٢).

هل لمست مدى الفارق بينهما؟ إنَّهُ كاختلاف معرفة الطفل الصغير عن معرفة الرجل الناضج، وكاختلاف الرؤية في مرآة عن التطلع وجهًا لوجه، إذ تشير المرآة إلى التعبير العميق لكن في غموض!...

فلماذا إذن لا نُصدِّق قول **بولس**: «بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟ أَلَعَلَّ الْجُبْلَةَ تَقُولُ لِجَابِلِهَا: «لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هكَذَا؟» (رو ٩: ٢٠).

تأمَّل كيف يليق بنا الخضوع لإرادة الله في صمت!

إنَّهُ بلا شَكٍّ، لا يقصد بقوله هذا أنَّهُ يَوَدُّ أنْ يفقدنا إرادتنا، حَاشَا! لكنَّهُ يُؤكِّدُ أنَّهُ ينبغي على الباحث الالتزام بالصَّمتِ، كالطِّينِ في يَدِ الخزَّافِ، لا يُقاوم ولا يُجادل. وقد ذكر الخزَّاف والطين ليذكرنا بطبيعتنا، فإنَّهما في درجة واحدة من حيث وجودهما (**لأن الخزاف مخلوق من التُّراب**)، ومع هذا يخضع الطِّين للخزَّاف، فأيَّةُ مغفرة يترجَّاها الإنسان وهو يتجاسر بتهَوُّرٍ مُجادلًا إرادة **الله** جابله، مع أنَّ الفارق بينه وبين الوجود ذاته لا نهائِيًا؟!

أُذْكُر أيُّهَا الإنسان مَن أَنْتَ؟ أَلَسْتَ طِينًا وَتُرابًا وَرَمادًا؟ ألسْتَ بُخَارًا؟ ألسْتَ عُشْبًا؟ ألسْتَ زَهْرَةَ عُشْبٍ؟ هكذا يتسابق **الأنبياء** في رسم صُوَرٍ أمامَ أعيُنِنَا للتعبير عن حقيقة وجودنا. أمَّا **الله** الذي تَوَدُّ أنْ تُخضِعَهُ **لِفُضولِكَ الطَّائِشِ** فهو لا يخضع للموت أو التغيير. إنَّهُ سرمديٌّ لا بداية له ولا نهاية، غير مُدرك، فائق لكل فهم وكل منطق، غير موصوف ولا منظور! هذه الصِّفات التي لا نقدر إدراكها أنا وأنت أو حتى الرسل والأنبياء، بل ولا القوَّات السَّماوِيَّة– رغم طهارتها غير المنظورة وروحانِيَّتِهَا ومعيشتها في السَّماء على الدوام.

٣) احكام الله والسَّمائيون:

عندما نسمع **السِّيرافيم** أنَّهم يطيرون حول العرش في سُمُوٍّ وَرِفْعَةٍ، يُغطُّون وجوههم بجناحين... ويسترون أرجلهم باثنين، ويصيحون بصوتٍ مملوء رِعْدَةٍ، **لا تظنّ أنَّ لهم رِيشًا وأرجلًا وأجنحة، فإنهَّم قوات غير منظورة...**

حقًا إنَّ **الله** حتى بالنِّسبة لهذه الطغمات غير مدرك، ولا يقدِرُون على الدُّنُوِّ منه، لهذا يتنازل هو، لِيَظْهَر بالطَّريقَةِ التي وردت في الرُّؤيا. فإنَّ **الله** لا يحدّه مكان ولا يجلس على عرش... إنَّما جلوسه على العرش واحاطته بالقُّوات السَّماوِيَّة هو من قبيل حُبِّهِ لهم.

إذا ظَهَرَ على العَرْشِ وأحاطت بِهِ هذه القُوَّات، لا تَقْدِر على مُعايَنته، ولا ٱحتملت التَطلُّع إلى بَهاءِ نُورِهِ، فتُغطي أعيُنها بأجنحتها، ولَمْ يَعُدْ لها إلَّا أنْ تُسبِّحَ، وَتَتَرَنَّمَ بتسابيحَ مملوءَةٍ مجدًا وَرِعْدَةً مقدَّسة، وبأناشيد عجيبة، تَشْهَد لِقَداسَةِ الجَّالِسِ على العَرْشِ.

حَرِيٌّ بذاك الذي يتجاسر ليفحص عناية **الله** الذي لا تَقدِر القُوَّات السَّماوِيَّة على لمسها أو التعبير عنها، أنْ **يختبئ مختفيًا تحت الآكام.**

الابن والرُّوح يعلنان أحكامه:

لا يُدرك كمال **الله** إلَّا **الابن والرُّوح القُدُس**. وقد كشف لنا **يوحنا الحبيب** الحقيقة الأولى: «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.» (يو١: ١٨)، **وبولس الرسول** الحقيقة الثانية: «فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ.لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ

الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ.» (١ كو٢: ١٠-١١)

ابنُ الرَّعْدِ (يوحنا) الذي أحبَّهُ **الرَّبُّ** جدًّا، والذي دَلَّ لقبه على سُمُوِّ فضيلته، التي تتمتَّع بالاتكاءِ على صدر **الرَّبِّ** يقول: «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ»، والرُّؤيَةُ هنا تعني المعرفة. «اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.»

وعندما أراد **الإناء المختار (بولس)** أنْ يتحدَّث عن مقاصد الله ويشير إلى الأسرار كما عرفها قال: «بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَّهْرِ، لأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ. بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كو ٢: ٧-٩).

إذن كيف عَرَفْنَا حكمة الله يا **بولس؟** ومن كَشَفَهَا لنا؟ وَمَنْ أوضَحَ لنا الأمور التي لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على بال إنسان؟ أخبرنا، مَنِ الَّذي وهبَ لنا هذه المعرفة العجيبة؟

يقول: «أَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ.». وَلِئَلَّا يَظُنَّ أَحَدٌ أنَّ **الرُّوحَ القُدُس** لا يعرف إلَّا ما قد أعلنه، وليس كُلّ أسرار الله، قال: «لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ.». هذه الكلمات تعني أنَّهُ كما يعرف **روح الإنسان** ما يخصه بدِقَّةٍ، هكذا يعرف **رُوح الله** المعرفة الإلهيَّة الكاملة بدِقَّةٍ لا يُعَبَّر عَنْهَا.

بقوله:«أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ». **إستَبْعَدَ الإنسان وكُلّ السَّماويين** عن هذه المعرفة. لهذا جاءت هذه النَّصائح المملوءة حكمة «لاَ تَطْلُبْ مَا يُعْيِيكَ نَيْلُهُ، وَلاَ تَبْحَثْ عَمَّا يَتَجَاوَزُ قُدْرَتَكَ، لكِنْ مَا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ، فِيهِ تَأَمَّلْ، وَلاَ تَرْغَبْ فِي اسْتِقْصَاءِ أَعْمَالِهِ الْكَثِيرَةِ.» (سيراخ ٣: ٢٢).

هذا القول يعني: أنَّهُ يليقُ بِكَ ألَّا تنسب معرفتك لذاتك، فلا تكفي الطبيعة أن تعلمك... إنَّما أخذتَ من فوق معرفة أكثر الأمور، إذ هي تفوق إدراكك.

لماذا تحاول استقصاء الأمور العميقة بِقُوَّتِكَ الذَّاتيَّةِ مع أنَّ غالبيَّتها يفوق قوَّة تفكيرك التي وهبها الله لك؟ أَلَعَلَّ **بولس** كان يحاول الإشارة إليك حين قال: «أَيُّ شَيْءٍ لَكَ لَمْ تَأْخُذْهُ؟ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ، فَلِمَاذَا تَفْتَخِرُ كَأَنَّكَ لَمْ تَأْخُذْ؟» (١كو٤: ٧).

إذن لتهرب من حُبِّ **الجال** (جال = فَرَّ ثمَّ كَرَّ، صالَ وجال)، وأقبل هذه النصيحة المملوءة حكمة. لا تقل ما هذا؟ ولماذا حدث هذا؟ لأنَّ: «أَعْمَالُ الرَّبِّ كُلُّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا، وَجَمِيعُ أَوَامِرِهِ تُجْرَى فِي أَوْقَاتِهَا، وَكُلُّهَا تُطْلَبُ فِي آوِنَتِهَا.» (سيراخ ٣٩: ٢١).

الخليقة وعناية الله:

عندما أكمل الله الخليقة كلّها وزيَّنها بالجمالِ تطلَّع إلى هذا العمل العجيب المتناسق: «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا.» (تك١: ٣١).

هكذا سبق الله فأثبط حُكْمَ مختلِّي العقل، المقاومين لعمله، فليتنا لا نقبل رأيهم المملوء تهوُّرًا.

رأى الله النور والظلمة... رأى الأشجار المثمرة وأشجار البَريَّة، والسُّهول المنبسطة والجبال، والوديان والشُّقوق، الإنسان والحيَّات السَّامة، الأسماك والحيتان البحريَّة، والأمواج الهادئة والعواصف العنيفة، والشَّمس والقمر والنجوم والرَّعد والبَرق، الهواء العليل والعواصف، الحمام والطيور المغرِّدة، النُّسور والحيوانات المفترسة، الغنم والبقر، الذئاب والفهود، العقارب والحيَّات، الأعشاب الشَّافية والأعشاب السَّامة...

زيَّنَتُها مَجَّدَها الله. أقصد أنَّهُ مَجَّدَ كُلَّ شيء منها على ٱنفراد، كما مَجَّدَ الخليقة في كلِّيتها. بهذا لا يجسر أحد – **مهما كان تَهَوُّره** – أنْ يفكِّر في فحص باقي الأمور ما دامت تُرضي **الرَّبّ**. فبعدما قال: «لِيَكُنْ نُورٌ» (تك١: ٣)؛ أضاف: «وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ.» (تك١: ٤).

وهكذا في خَلْقِهِ كُلَّ شيء، أعلن الله رضاه...

هذا لا يعني اكتشاف الله جمالها بعد خلقتها. **كَلَّا!** لأنَّهُ إنْ كان الفَنَّان يقدر أنْ يُدرك جمال عمل يديه قبل تنفيذه، فكم بالحريّ الحكمة الفائقة الذي بعثَ الحياة في الكُلّ بإرادته وحده؟! **لقد عرف روعة خليقته قبلما يخلقها.** وما كان قد جاء بها إلى الوجود لو لم يكن قد سبق فعرفها.

فإن سمعتَ قول النبيّ: «أَنَّ اللهَ رَأَى كُلَّ شيءٍ ومدحه..». أعلم أنَّ هذا إعلان عن رُأى الله وَحُكْمِ مُبْدِعِهَا...

إذنْ تحاول البَحْث في أمورِ الخليقةِ باندفاعٍ، فإنْ لديكَ شهادة عالية تُعلن امتيازها. فإنْ لم تكتفِ بهذه الشَّهادة باحثًا في الخليقةِ بأفكارٍ مُتضارِبَةٍ وسط جَوٍّ عاصفٍ، لَنْ تَتَقَدَّمَ في شيء، إنَّما تُهيِّء لِنفسك فشلًا مُرًّا، وَتَعْجَزُ عن إيجادِ تفسيرٍ للخليقةِ، بل وما قد تستحسنه من الخليقة الآن قد ترذله غدًا بسبب عُقْمِ تفكيرك. فإنَّ **فكر الإنسان ضعيف**، ينجذب نحو ٱتِّجاهات متضارِبَةٍ، وتَتَعارَضُ وجهات النَّظَرِ تُجاه الخليقة الآن. **فاليونانيون** بسبب شِدَّةِ إعجابهم بها **صيروها آلهة، وأتباع ماني مع هراطقة آخرين** حسبوها ليست من صُنْعِ إلٰهٍ حُبّ... ولا تستحقُّ أنْ تكون من عمل **إلٰه خَلَّاق.**

فإن كنتَ تَشُكُّ في عناية الله، سَلِ ٱلأرض والسَّماء والشَّمس والقمر. سَلِ ٱلكائنات غير ٱلعاقلة والزروع... سَلِ ٱلصُّخور والجبال والكُثبان الرَّمليَّة والتِّلال. سَلِ ٱلليل والنَّهار. فإنَّ عناية الله، أوضح مِنَ الشَّمس وأشعتها. في كل مكان، في البراري والمدن والمسكونَةِ، على الأرض وفي البحار... أينما ذهبت تسمع شهادة ناطقة بهذه العناية الصَّارخة...

في كُلِّ موضعٍ ترتفع الأصوات مُدَوِّيَةً بوضوحٍ أعلى من أصوات البَشَر العاقلين، تُعلن لِكُلِّ من يريد أنْ يسمع عن محبة الله السَّاهرة! وإذ أراد **النبيّ داود** أنْ يسجِّل قُوَّة هذه الأصوات قال:«إِلَى كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْطَارِ الْمَسْكُونَةِ كَلاَمُهُمْ.» (مز١٨: ٤).

لغتنا نحن لا يفهمها إلَّا أهل لِسَانِنَا، **أمَّا الخليقة فتنطق بلغة تفهمها**

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل الواحد والعشرون

«اُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ.» (متى ١٨: ١٠-١١).

لقد استعادت المدرسة توازنها في ميادين كثيرة بمعونة **اللهِ**، على أساس الإيمان والصَّبر، وتخلَّصت من الاضطراباتِ والمُشاحناتِ. وتجنَّبت تلك المعارضات اللاذعة التي كانت تترك في القلب أثرًا من المرارةِ. ولا شكّ في أنَّ المشكلات والهموم والانزعاجات لم تَنْتَهِ. ولا الفضائح الصغيرة منها والكبيرة التي كانت تتسبَّب بها حِدَّة طِباع بعض التلاميذ، فتصيب **نكتاريوس** بالحزنِ العميقِ.

وبقيت الإدارة تؤدِّي قسطها المعتاد من التعليقات والانتقادات الموجَّهة **لنكتاريوس**، وتتَّخذ القرارات الأنانيَّة. وقد اعتاد عليها **نكتاريوس** في النهاية، وصار يتجنَّب كُلّ انواع الصِّراعات، وحتى الصغيرة منها، ويُفَضِّل أنْ يواجهَ الملاحظات الظالِّمة والتعديات بالصَّمت.

وقد حدث أنْ **أَدْخَلَ** أحد المشتشارين – وهو عضوٌ جديدٌ في المجلس التنفيذي– تلميذًا جديدًا إلى المدرسة، جاعلًا منه **مُخبِرًا**. ولم يَكُن هذا التلميذ شريرًا، ولا كان يَصلُح لمهمة الجاسوسيَّةِ. ولكنه ظَنَّ بأنَّ عضو المجلس واسع النفوذ. وكان يعتبره حاميه والمُحسِنَ إليه، ويخضع لمشيئته خضوعًا أعمى لاعتقاده بأنَّ ذلك شرطٌ لنجاحه الشخصيّ، ونجاح عائلته. وقد أوكَلَ إليه المستشار مَهَمَةً سرِّيَّة جعلته ينتفخ من الغرور. إذ طلبَ منه أن يُراقب بالخفاء كُلّ ما يجري في المدرسة، وكلّ الأحاديث ... وأن ينقلها إليه في السِّرِّ.

إنَّها الأساليب التي يلجأ إليها **العدوّ المُخَرِّب**، أمير الظُلمات الذي يحاول بشتَّى الطُرق أنْ يُلقي الظلام على العالم. وأن يزرع الفوضى والمرارة.

والتلاميذ يشتكون مُنذُ مدَّة من إهمال المدبِّر والطَّباخ، ويتذمَّرون فيما بينهم من سوء نوعيَّة الطعام. فوجَدَ المستشار أخيرًا السَّبب الذي كان يبحث عنه! فاستدعى **نكتاريوس** إلى مكتبه، وانفجر في وجهه غاضبًا:

« إنَّهُ لأمرٌ مُحزن ... انَّهُ لمحزن حقًّا! فأنتَ تهتم بالعالم وتُهمِل هؤلاء الأولاد الذين تركوا عائلاتهم وأتوا إلى هذا المكان المُبَارَك طلبًا للعلمِ وللحصول على التنشئة الرُّوحانيَّة! لقد حصَلَ لغطٌ كبير في أوساط التلاميذ بخصوص وجبات الطعام. وأنتَ كعادتك، تبدو وكأنَّكَ لا تُلاحظ شيئًا من هذا، لأنَّكَ كثير الاهتمام بنِسائِكَ! على فِكرة، ماذا

يجري هنا، وكيف تدخل هذه النُسوة إلى المدرسة ويخرُجن بحريَّة، ويأخذن كُلّ وقتك؟».

فرفع **نكتاريوس** نظره إليه ولكنه لم يُجب بكلمة. وتابع المستشار بإصرار:

– «كيف تُجيب على هذا ؟».

فتمتم **نكتاريوس**: «سأدرس القضيَّة».

– «تدرسها فقط؟».

فأضافَ **نكتاريوس**: «سأُعالجها».

وخرج **نكتاريوس** فيما كان المستشار يتابع كلامه، واصفًا الوضع بأسوأ ما يكون. لكن **نكتاريوس** لم يُضف كلمة. وراح يتساءل في نفسه:

– «ما هي هذه القصة عن الطعام؟ وكيف حدث هذا؟».

قال عنهُنَّ: «هذه النسوة ...» لقد أتينه يطلبن حمايته ... فهل من المعقول أن يتخلَّى عَنهُنَّ، أو يطردَهُنَّ؟ كان قد انتقل والده ووالدته وخمسة من إخوته وأخواته إلى رحمة الله، ولم يطلبوا منه الكثير في حياتهم، فقط بعض المساعدة من وقتٍ لِآخر. وبقي شقيقه خارَلمبوس (فرح) على قيد الحياة. وهو لا ينفكُّ يُنجب الأولاد ويجْهَد لإعالتهم، ولكن دونَ أن يطلب منه أيَّة مساعدة. وحتى الشَّعب الجاهل والذي لم يتفَقَّه بتعاليم السَّيِّد، يحسّ بأنَّ من واجبه أن يُساعد إخوته وأهله وأصدقاءه المقرّبين ... فكيف يمكنه أن يرفض مَدَّ يَدَ العونِ إلى هذه المخلوقات المحرومة، العاجزة عن الدفاع عن نفسها؛ وقد جذبتها تعاليم المسيح فراحت تتشَرَّب كُلّ كلمة من كلماته، وكُلّ نصيحة من نصائحه المختَبَرة؟ أليسَ لها روح؟ ألسنَ أعضاء في عائلة المسيح الصغيرة؟ ألسنَ ممن سَيَرِثْنَ ملكوت السماوات؟

وأما هو فكاهنٌ، والكاهن يلبس رداء الألم والحبّ، ولا يملك أن يطرد أحدًا، ولا أنْ يترك أحدًا في اليأس. وعلى كُلِّ حال فإنَّ كريزنتيا الضَّريرة كائن مميَّز، وهي صاحبة روح متواضعة. لقد حُرِمَت من رؤية الأمور الأرضيَّة، ولكنها حصلت في المقابل على قُدرة تأمُّل سرّ النِّعمة الخفيّ. وكان **نكتاريوس** يشعر بأنَّها ستُصبح قديسة مُحاطة بالملائكة. لم تَكُن متعلِّمة إذ لم تَكُن لها عائلة لتعيِّن لها مُدَرِّسة خاصة مثل **ايلين كيلر وآني سوليفان**. ولم تقرأ في حياتها **الرواقيين** ولا **الأبيقوريين**، ولا سمعت بكبار الفنانين الغربيِّين ولا بالكُتَّاب الغربيِّين المشهورين الذين برَعُوا في الكلام ووضعوا «الروائع الطليعة» في محاولاتهم الباطلة للبحثِ عن إله مجهول، أو عن أسرار عالم محفوف بالمخاطر. لقد قدَّمت إيمانها ببساطة إلى **الرَّبّ الواحد، الكلمة المتجسِّد، آدم الثاني والمخلِّص**، وكرَّست ذاتها له. وكانت كزهرة الحقول التي تنبت على جانب الطريق.

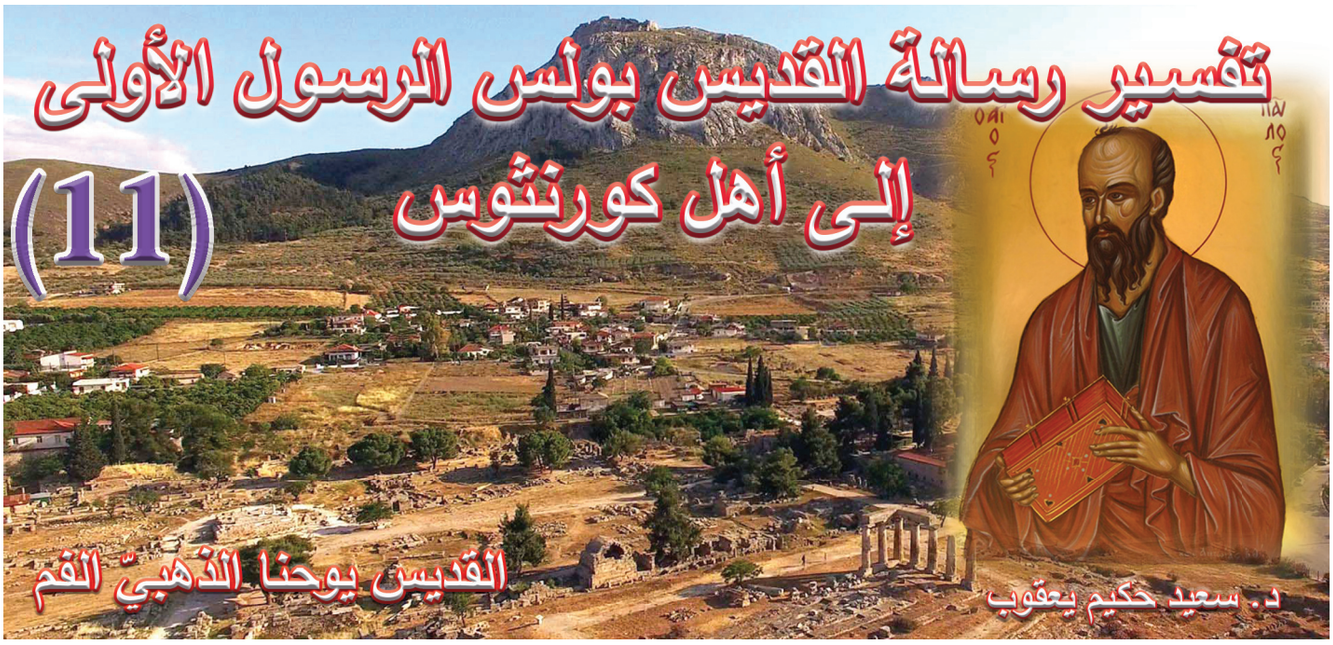

الإصحاح الثاني

العظة السادسة (١كو٢: ١–٥)

«وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُوِّ الْكَلاَمِ أَوِ الْحِكْمَةِ مُنَادِيًا لَكُمْ بِشَهَادَةِ اللهِ، لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا.» (١كو٢: ١–٢).

١ – لا يوجَد شخصٌ قد جاهَدَ وبَذَلَ نفسه من أجلِ الكرازة، مثلما فعل **الرسول بولس** الذي قَبِلَ أن يُقَدِّم نفسه ذبيحة (لأجل الكرازة **بكلمة الله**) هذا ما عبَّر به عن نفسه قائلًا: «قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ». (رو٨: ٣٦). إلَّا أنَّ الأمرَ هنا لا يرتبط بإمكانيات خاصة بهِ، لأنَّ ما كان يُغني نفس **القديس بولس**، لم يأتِ من داخله، بل من نعمة **الرُّوح القُدُس**، فليسَ هناك شيئٌ مُساوٍ للنعمة التي تعمل فيه. إذًا فهذه الإنجازات التي حقَّقها تعود لعمل النعمة، أي أنَّ كُلَّ ما قيل فيما سَبَق، وربما جزءٌ فقط ممَّا قيل، كان كافيًا لاسقاط كبرياء أولئك اليونانيين الذين كانوا يفتخرون بحكمتهم؛ لكن لكي يُصبح الانتصار بَهِيًّا، فقد جاهَدَ وقاوَمَ كُلّ ما كان مُضادًا لتعاليم الحكمة الإلهيَّة.

لاحظ النُّبوَّة التي ذكرها بقوله: «سأُبيدُ حكمة الحكماء»، فهو بهذا القول يُظهر حكمة الله، أي أنّه أبطَلَ حكمة العالم بهذه الحكمة، التي كانت تبدو جهالة، فقد أظهَرَ أنَّ جهالةَ الله أحكَم من الناس، وأظهَرَ أيضًا أنَّه ليس فقط قد عَلَّمَ بواسطة أُناس بُسطاء، بل أيضًا اختارَ أُناسًا بُسطاء. الآن هو يُظهِر أنَّ محتوى الكرازة وطريقتها، كانا كافيين لِيُثيرا الإزعاج والقلق، ولكنهما لم يُحدِثَا هذا القلق. إذًا لم يَكُن التلاميذ فقط هم البسطاء، بل إنَّ **الرسول بولس** يعتبر نفسه من البسطاءِ، من أجل هذا يقول: «وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُوِّ الْكَلاَمِ أَوِ الْحِكْمَةِ مُنَادِيًا لَكُمْ بِشَهَادَةِ اللهِ،» (١كو٢: ١). وها هو يذكر أسم الإخوة مرَّةً أُخرى.

أخبرني إذًا ما هي الإنجازات التي يمكن أنْ تُحقِّقها، إن أردتَ أنْ تأتي بسموِّ الكلام؟ فأنا حتى وإنْ أردتُ، فَلَنْ أستطيع، لكن **المسيح** لو أراد، فإنَّه يستطيع، لكنه (**المسيح**) لم يُرِد، لكي يُصبح نُصبَ الانتصار أكثر بهاءً. لأجلِ هذا فقد أظهَرَ **الرسول بولس** قبلًا، أنَّ طريقة خِدْمَتِهِ واتِّجاه إرادَتِهِ، هي في أنْ يُبَشِّر بطريقةٍ بسيطةٍ (بجهالة الكرازة)، يقول: «لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لأُعَمِّدَ بَلْ لأُبَشِّرَ» (١كو١: ١٧). فإرادة **المسيح** هي أن يُبَشِّر، وهذا أهمُّ بكثيرٍ وأهمُّ بما لا يُقاس. مِنْ إرادة **بولس**. فهذا هو ما يُريد أنْ يقوله: إنَّه نادى بشهادة اللهِ بدون بُرهان على الفصاحة والبلاغة، وبدون أنْ يكون مُسَلَّحًا بِحُجَجٍ مَنطقيَّة، ولم يتحدَّث عن الوعظ، بل عن «شهادة الله»، وهذا وحده كان كافيًا لأنْ يعيقه، لأنَّه جالَ العالم مُبَشِّرًا بموت **المسيح**. ولأجل هذا قال أيضًا: «لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا.» (١كو٢: ٢) لقد قالَ هذا الكلام، لكي يُظهر أنَّه غريب عن حكمة العالم، كما قالَ سابقًا «لَيْسَ بِسُمُوِّ الْكَلاَمِ» (١كو٢: ١). فمن حيث أنَّه كان من الممكن أن تكون لديه هذه الحكمة، فهذا أمرٌ واضح كُلّ الوضوح. لأنَّ ثيابه أقامت أمواتًا، وظلاله أبرأت أمراضًا، أيضًا كانت نفسه مُهيَّأة بالأكثرِ أنْ تقبل الفصاحة، إلَّا أنَّ هذه الفصاحة من الممكن أن يتعلمها المرء، أمَّا الحكمة الإلهيَّة، فهي تتجاوز كُلّ علم، فذاكَ الذي وصل إلى أقصَى درجات العِلم، بالأكثر جدًّا سيُمكنه أنْ يعرف الأمور الأكثر بساطة، لكن **المسيح** لم يسمح بهذا الأمر، لأنَّ هذا العِلم غير نافع. إذًا فمن الطبيعي أن يقول: «**لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ**» أي ما كان يُريده تحديدًا، هو **يسوع المسيح**.

يبدو لي أنَّهُ تَكلَّم بتواضعٍ شديدٍ تُجاه هؤلاء، أكثر ممَّا تكلَّم بهِ تُجاه آخرين، وذلك بهدف أن يكبح افتخارهم. لأنَّ عبارة: «**لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ**»، قد قيلَت في مواجهة انتشار الحكمة العالميَّة، أو تمييزًا للحكمة الأَلهيَّة عن الحكمة العالميَّة. هكذا يقول: لَمْ آتِ لكي أكرز لكم بأفكارٍ معقّدة وسفسطائيَّة، ولا لكي أقول شيئًا آخرَ، سوى أنَّ **المسيح** قد صُلِبَ فقط. بمعنى أنَّ أولئك قد تكلَّموا في أمورٍ عديدة، ومن خلال أحاديث مطوَّلة وممتَدَّة لفتراتٍ طويلة، وبكلماتٍ رشيقة، مُقَدِّمين

حُجَجًا وأفكارًا عديدة وأقوالًا فلسفيَّة معقّدة، إلَّا أنّني قد أتيتُ إليكم دون أن أقول شيئًا آخَرَ، سوى أنَّ **المسيح** قد صُلِبَ وقد تجاوَزَ كُلّ هؤلاء. الأمر الذي يُمثِّلُ دليلًا قويًّا على **قوّة المُبَشِّر به** (أي المصلوب).

«وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِي ضَعْفٍ، وَخَوْفٍ، وَرِعْدَةٍ كَثِيرَةٍ.» (١كو٢:٣).

وهذا أيضًا جانبٌ آخَرُ، لأنَّهُ ليسَ فقط الذين آمنوا كانوا أُناسًا بُسطاء، ولا فقط الذي بشَّرَ كان إنسانًا بسيطًا، ولا فقط طريقة التعليم كانت مملوءة بالبساطة، ولا البشارة ذاتها كانت كافية لإثارة الاضطراب – لأنَّ محتوى البشارة كان هو الصليب والموت – بل بالإضافة إلى كُلّ هذا، كانت هناك عوائق أُخرى، تمثَّلت في الأخطار والمكائد، والخوف اليومي، والمُطاردات والاضطهادات.

أيضًا هو يدعو الإضطهاد، كما يظهر في مواضيع كثيرة، بالضَّعف، فيقول: «وَتَجْرِبَتِي الَّتِي فِي جَسَدِي لَمْ تَرْذُلُوا بِهَا» (غل٤:١٤). أيضًا يقول في موضعٍ آخر: «إِنْ كَانَ يَجِبُ الافْتِخَارُ، فَسَأَفْتَخِرُ بِأُمُورِ ضَعْفِي.» (٢كو١١:٣٠). وما هي؟ يقول: «وَالِي الْحَارِثِ الْمَلِكِ كَانَ يَحْرُسُ مَدِينَةَ الدِّمَشْقِيِّينَ، يُرِيدُ أَنْ يُمْسِكَنِي» (٢كو١١:٣٢). وأيضًا: «أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ» (٢كو١٢:١٠). بعد ذلك يُشير إلى: «الشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ » (٢كو١٢:١٠). والآن هو يقول نفس الشيء، فبعدما قال: «وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِي ضَعْفٍ» (١كو٢:٣). أضاف: «وَخَوْفٍ، وَرِعْدَةٍ كَثِيرَةٍ.» (١كو٢:٣).

ماذا تقول؟ هل **بولس** أيضًا يخشى الأخطار؟ أَجَلْ، إنَّهُ يَخاف، ويَخاف بشدَّة، فبالرغم من أنَّه **بولس الرسول**، لكنه إنسان وهذه ليست إدانة له، بل هو ضعف يُنسَب لطبيعته، إلَّا أنَّ هذا يُعتبر مديحًا لإرادته، لأنَّه وإن كانَ يخاف من التعرُّض للأذى والموت، لكنه لم يفعل أي شيء يُخالف **إرادة الله**، بسبب هذا الخوف. حتى أنَّ جميع الذين يقولون إنَّه لم يكُن يخشى التعرُّض للأذى، ليسَ فقط لم يسموا به، لكنَّهم دون أن يَدروا، يُقلِّلون كثيرًا من الثناء عليه، لأنَّه إنْ لم يَكُن يَخاف، فأي احتمال أو أي حكمة هذه، أن يصبر على الأخطار ؟

وأنا لأجل هذا أُعجَبُ بِهِ، لأنَّه بالرغمِ من أنَّه كان يَخاف، وليس فقط يخاف، بل ويرتعد من المخاطر، ومع ذلك كان دومًا يسير **مُتَوَجًّا**، ولم يتراجع أمام أي خطر، واضعًا نُصب عينيه أنْ يُطَهِّر المسكونة من الخداع، وأن يَنشُر الكرازة في كُلِّ أنحاء الأرض والبحر.

«وَكَلاَمِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ» (١كو٢:٤).

أي أنَّه قد كرَزَ مُجرَّدًا من حكمة العالم. إذًا مادام أنَّ الكرازة، كانت خالية من حكمة العالم، وأنَّ كُلّ الذين دُعُوا بواسطتها كانوا أُناسًا بُسطاء، وأنَّ الكارز أيضًا كان بسيطًا، هذا بالإضافة للاضطهاد والخوف والرِّعدة، فكيف كان لها أنْ تنتصر بدون القوَّة الإلهيَّة؟ ولأجل هذا بعدما قال: «وَكَلاَمِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ» أضافَ : «بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ» (١كو٢:٤).

٢ – أرأيتَ كيف أنَّ المولود من الله، هو أكثر حكمةً من الناس، والضعيف هو أكثر قوَّة؟ وكيف انتصَر البُسطاء على مضطهديهم؟ رغم أنَّهم كانوا يكرزون **بالمسيح مصلوبًا** وهم مُضطَهدون ومُطارَدون، أَلَيْسَ لأنَّهم قدَّموا الإيمان **بواسطة الرُّوح القُدُس؟** لأنَّ هذا بُرهان مُعترَف به أو تمَّ إقراره. أخبرني مَن ذا الذي يرى موتى يقومون، وشياطين يخرجون، ولا يقبَل الكرازة؟ لكن نَظرًا لوجود قُوَّات مُضَلِّلة ومُخادعة، مثل قوَّة السِّحر، فقد أزال هذا الظَنَّ أو استُبعد شبهه القوَّات المضلِّلة، لأنَّه لم يَقُل فقط «قوَّة»، بل أشارَ أوَّلًا إلى «**الرُّوح**» ثمَّ بعد ذلك إلى القوَّة، قائلًا: «بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ» (١كو٢:٤)، مُبرهِنًا على أنَّ كُلّ ما تمَّ بواسطة الكرازة، كان **بالرُّوح**. إذًا لم يَكُن تقليلًا من شأن الكرازة، أنَّها لم تَكُن بكلام الحكمة الإنسانيَّة، بل هي في ذاتها جوهرة عظيمة (لأنَّها مُنقادة **بالرُّوح**). وهذا بكلّ تأكيد يُبرهن بقوَّة على أنَّ هذه الكرازة، كانت عملًا إلهيًّا، وأنَّ جذورها في السَّماء.

ولأجل هذا أضاف: «لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ.» (١كو٢:٥).

أرَأيتَ كيف بَرْهَنَ للجميع وبكلّ وضوح، أنَّ الربح من وراء البساطة كثير، وأنَّ الضَّرر الذي يأتي من وراء حكمة الناس هو ضررٌ جسيم؟ لأنَّ حكمة الناس تَعتَبِر الصليب شيئًا لا قيمة له ولا أهميَّة ، لكن حكمة **الرُّوح** تُنادي وَتُقِرّ بقوَّة الله. حكمة الناس أيضًا، علاوةً على أنَّها لا تحمل أي شيء من الأمور اللائقة والمناسبة، فقد جعلت الناس يتباهون بقوَّتهم، أمَّا حكمة **الرُّوح** جعلتهم يَقبَلُون الحقيقة، ويفتخرون بالأمور الإلهيَّة. أيضًا حكمة الناس تخدع كثيرين وتجعلهم يرتابون في اعتبار العقيدة هي عقيدة إنسانيَّة، أمَّا البساطة فقد برهَنت بوضوح على أنَّ هذه العقيدة، هي عقيدة إلهيَّة، وأنَّها أتت من السَّماء. إذًا عندما يتباهى أحدٌ بالحكمة الإنسانيَّة ويُحاول أن يُظهرها، فسيكون الأشرار أو الأدنياء عندئذ في وضع الغالب كمن هُم الأقدَر في الحديث، هكذا يبدو وكأنَّ الكذب ينتصر على الحقيقة. إلَّا أنَّ الأمر مختلف هنا، لأنَّ **الرُّوح القُدُس** لا يحلّ على النفس الدَنِسَة، وإن أتى فمن غير الممكن على الإطلاق أنْ يُهزَم، حتى وإن تعبَّأت وتجمَّعت كُلّ القوَّات الخاصة بالكلام. لأنَّ بُرهان الأعمال والآيات هو أكثر حكمة من برهان الكلام.

وربما يقول البعض، بما أنَّه كانَ لابُدَّ للكرازة أنْ تنتصر، ولم تَكُن في حاجة إلى الحكمة (الإنسانيَّة)، حتى لا يُفَرَّغ الصليب (من محتواه)، فلماذا لا تظهَر الآن مُعجزات وآيات؟ وما هو السَّبب في ذلك؟ هل تقول هذا بسبب عدم الإيمان، أو أنَّكَ تؤمن بأنَّ هذا لم يحدث بواسطة الرُسل، أم أنَّك حقًّا تريد أن تعرف؟ لأنّه إنْ كنتَ تسأل بعدم إيمان، فسأتوقَّف عن الكلام. وإن لم يَكُن هناك آيات ومُعجزات آنذاك، فكيفَ أقنعوا الناس بأنْ يقبلوا الإيمان، بينما كانوا مُطارَدين ومُضطهَدين ومرتعدين ومسجونين، وكان العالم يُعاديهم والجميع يعاملونهم معاملة قاسية وسيِّئة، ولم يكُن لديهم ما يُساعدهم. إذْ لم تَكُن لديهم بلاغة في الكلام ولا منظر لهم، ولم يكونوا أغنياء ولم ينحدروا من مدينة ذات شأن، أو دولة عظيمة، أيضًا لوم ينحدروا أيضًا من أصلٍ أو نَسَبٍ نبيلٍ، وليسوا من أصحاب المِهَن التي يُنْظَر إليها بعين الاعتبار والتقدير، ولا

مجد لهم ولا أيِّ شيء من الأشياء المماثلة، بل إنَّ كُلّ ما كانوا يملكونه هو عكس ذلك تمامًا، البساطة والزُّهد والفقر، وقد لاقوا بغضة وكراهِيَّة. وكيفَ نجحوا في إقناع الناس، ونشروا الكرازة في كُلِّ المسكونة، بالرَّغمِ من أنَّ محتوى كرازتهم كان بهذه البساطة؟ يُضاف إلى ذلك أنَّ تنفيذ الوصايا كان يحتاج كثيرًا من الجهد، وأنَّ قبول العقائد الإيمانيَّة كان يُعَرِّض الشَّخص للخطر. وليسَ هذا فقط، بل إنَّ أولئك الذين سمعوا هذه الكرازة وقَبِلوا الأيمان، كانوا ممَّا اعتادوا على السلوك الشَّائن، والسُكر، وممارسة شرورٍ كثيرة.

أخبرني إذًا، كيف أقنعوهم أنْ يقبلوا الإيمان المسيحي؟ من أينَ لهم بهذا الإقناع؟ هذا تحديدًا هو ما تحدَّثتُ عنه من قَبْلُ، أي إنْ كانوا قد أقنعوا الناس بدون عمل معجزات، فإنَّ هذا الأمر بحدِّ ذاته سيكون معجزة أعظم. أمَّا من حيثُ أنَّه لا تُجرى معجزات الآن، فهذا لا يُعتَبر دليلًا على أنَّه لم تُجْرَ معجزات آنذاك. لأنَّ المعجزات كانت في ذلك الوقت من أجل المنفعة، ومن ناحية أُخرى فمن المفيد أيضًا ألَّا تُجرى مُعجزات الآن. ورغم أنَّ المرء يقتنع فقط بالكلمة، إلَّا أنَّ هذا لا يُلزم الكرازة الآن أن تكون بواسطة الحكمة العالميَّة، لأنَّ الذين بذروا ونَشَروا الكلمة من البداية، كانوا أُناسًا بُسطاء وَجُهالًا، ولم يتكلَّموا بأيّ شيء من أنفسهم، بل ما قبلوه من الله هذا قد نشروه في كُلِّ المسكونة. ونحنُ أنفسنا الآن، لا نُقَدِّم ما هو خاصٌ بنا، بل إنَّ كُلّ ما تسلَّمناه من هؤلاء، فهذا ما نتكلَّم بِهِ نحو الجميع. ونحن الآن أيضًا لا نُقنع بالأفكار، بل إنَّنا نؤيِّد ونُؤَكِّد على كُلّ ما نقوله بالكُتب الإلهيَّة، وبالآيات والمعجزات ذاتها، بل ومن شهود العهد القديم، ولا يرجع ذلك لإمكانيات الكلام في حدِّ ذاته، بل إلى نعمة الله التي رافقت هذه الكلمات.

لكن قد يقول البعض كيف كانت المعجزات آنذاك مفيدة، والآن ليست مفيدة؟ لِنُجيبَ على ذلك: أوَّلًا ستكون إجابتي مؤَجهة لِلأُمَمِيّ، لذلك وكَافتراض، أضع في اعتباري ما سوفَ يصير أيًّا كان. إذًا دعونا نبدأ، ودعه يؤمن بما نقوله، على سبيل المثال: هو يؤمن أنَّ المسيح سيأتي، وعندما يأتي المسيح ومعه كُلّ الملائكة، هل سيعترف بأنّه هو الله، وأنَّ كُلّ الأشياء خاضعة له، أَلَا ينبغي على الأُمَمِيّ أنْ يُؤمن؟ الواضح أنَّهُ سيسجُد ويعترف أنَّه هو الله، حتى وإنْ كان إلى ذلك الحين، مُعَبِّرًا عن موقفه (**الوثني**) ومتمسِّكًا بِهِ بِشِدَّةٍ.

(يتبع في العدد القادم)

قال له إندراوس: «هنا غُلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء». عندما سُئِلَ فيلبس وقال:«لا يكفي خبز بمئتي دينار حتى يأكل كل واحد من هذا الجمع الكبير شيئًا يسيرًا»، كان هناك غلامٌ يحمل خمسة أرغفة شعير وسمكتين. «فقال يسوع: اجعلوا الناس يتَّكِئُون. وكان في المكان عُشب كثير فاتكأ الرِّجال وعددهم خمسة آلاف. وأخذ يسوع الأرغفة وشكر». فهو أَمَرَ وتَمَّ كسر الأرغفة، ووضعت أمام المتكئين. لم يعد هناك خمسة أرغفة فقط بل ما أضافه ذاك الذي خلق ما قد ٱزداد. «وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا». ولم يكن كافيًا أنَّ الجمع قد شَبِع، لكن بقي أيضًا كِسَر، والتي أَمَرَ الرَّبُّ بجمعها حتى لا تذهب سدى.«فَجَمَعُوا وَمَلأُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الْكِسَرِ، مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةِ الشَّعِيرِ، الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الآكِلِينَ.» (يو ٦: ١٣).

لِنُعَبِّر على هذا الفصل وبشكل موجز: الخمسة أرغفة ترمز لأسفار موسى الخمسة، فهي بحقّ ليست من القمح لكن من الشَّعير وذلك لأنها تنتمي للعهد القديم. لأنكم تعرفون أنَّ الشَّعير مُكوّن بطريقة ما بحيث يصل الشَّخص بصعوبة إلى النَّواة، لأنَّ هذه النَّواة مغطاة بقشرة خارجيَّة، وهذه القشرة متماسكة وملتصقة، بحيث تحتاج جهدًا لنزعها. هكذا أيضًا كتابة العهد القديم، مُغطاة بغلاف من الأسرار الجسديَّة، لكن إذا وصل الشَّخص إلى النَّواة فهي تُغذي وتُشْبِعُ.

هكذا كان صبيٌّ يحمل خمسة أرغفة وسمكتين. إذا كان ينبغي السَّعي

لمعرفة من هو هذا الصبي، ربما هو شعب إسرائيل، هذا الشَّعب كان يحمل الأرغفة (الأسفار) بفهم صبياني ولم يكن يأكل منها. لأنَّ تلك الأسفار التي كان يحملها، إذا بقيت مغلقة تكون عِبئًا، لكن عندما تفتح تصير طعامًا. علاوة على ذلك، يبدو لنا أنَّ السَّمكتين تدلان على الشَّخصيتين النَّبيلَتين في العهد القديم، أي الكاهن والملك، **الممسوحان** لِيُقَدِّسا ويَحكُما الشَّعب.

وهو ذاته جاء الآن أخيرًا في سِرّ، ذاك المرموز إليه من قِبَل الكاهن والملك، جاء الآن أخيرًا ذاك الذي كان ظاهرًا في نواة الشَّعير، لكن مخفيًّا بواسطة قشرة الشَّعير. جاء بذاته شخص واحد يحمل كلا الشَّخصيتين في ذاته، الكاهن والملك، كاهن من خلال الذبيحة التي قدمها للهِ من أجلنا – ذبيحة نفسه، وملك لأننا بواسطته نُحكَم. ومن ثم تلك الأشياء التي كانت محمولة وهي مغلقة تم فتحها.

الشُّكر له، لأنَّه حقَّق بواسطة ذاته ما تمَّ الوعد به في العهد القديم، وأمر أن تُكسَّر الأرغفة، ومن خلال الكسر تضاعفت.

ليس هناك ما هو أكثر صدقًا. لأنَّه فيما يتعلق بتلك الأسفار الخمسة التي لموسى، كم عدد الكتب التي تنتجها عندما يتم تفسيرها، كما لو كان عن طريق كسرها، أي من خلال مناقشتها؟ وذلك بسبب جهل الناس الأولين ومعرفتهم المغلفة في الشَّعير، إذ قيل عنهم: «لكِنْ حَتَّى الْيَوْمِ، حِينَ يُقْرَأُ مُوسَى، الْبُرْقُعُ مَوْضُوعٌ عَلَى قَلْبِهِمْ.» (٢ كو ٣: ١٥). (لأن البُرقع لم يكن بعد قد رُفع، لأنَّ **المسيح** لم يكن قد جاء بعد، وحجاب الهيكل لم يكن قد انشقَّ بعد).

لذلك، لا شيء بدون معنى، كل الأشياء تُقدم إشارات، لكنها تحتاج لمن يفهمها. لأنه أيضًا هذا العدد من الشعب الذين أكلوا يُشير إلى الشعب الموضوع تحت الناموس. لأنَّه لماذا كان هناك خمسة آلاف سوى لأنهم تحت الناموس، وهذا الناموس مُعلن في أسفار موسى الخمسة.

وأيضًا، كانوا متَّكئين على العشب، لذا كانوا يفهمون بشكل جسدي ويستريحون في الأمور الجسدِيَّة. لأنَّ «كُل جَسدٍ عُشبٌ» (إش ٤٠).

وما هي الكِسَر إلَّا ما لم يستطع الناس أكله؟ لذا فالكِسَر تُفهم على أنَّها تلك الأمور المخفِيَّة أكثر في المعنى، والتي لم تستطع الجموع اُستيعابها. لذلك ما تبقَّى من الطعام يشير إلى تلك الأمور المحجوبة أكثر في المعنى، والتي لا يستطيع الجمع أن يفهمها، ومن ثم يُؤْتَمَنْ عليها أولئك المناسبون أيضًا لتعليم الآخرين، كما كان الرُّسل.

تبعًا لذلك، امتلأت اثنتا عشرة قفة.

وقد تمَّ ذلك بشكل إعجازي لأنَّ عملًا عظيمًا قد حدث، وأيضًا بشكلٍ مفيدٍ لأنَّهناك أمرًا روحانيًّا قد تمَّ. أولئك الذين شاهدوا المعجزة آنذاك اندهشوا، أمَّا نحن فلا نندهش عندما نسمعها. فهي كتبت لكي نسمعها. ما **للعين** من قدرة على القيام به في حالتهم، كان للإيمان قدرة على القيام به في حالتنا. مما لا شَكَّ فيه، نحن نرى بذهننا ما لا نستطيع رؤيته بعيوننا، ولقد تم تفضيلنا عليهم لأنه قيل عنّا: «طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا». (يو ٢٠: ٢٩).

أَوَدُّ أنْ أُضيف، أنَّه ربما أيضًا نحن قد فهمنا ما لم يفهمه الجمع، فنحن الذين يمكننا التعمق حتى نواة الشَّعير يتمّ بالحقيقة تغذيتنا.

تابع من الغلاف الأخير

لا تُخرَج بواسطة مضادات الالتهاب أو أي علاج طبي. لقد كان أهل كاترينا يحاربون ضِدّ **الرُّوح الشِّرير** وقد فهموا بأنَّ **الشَّياطين** ليست مخلوقات من صنع خيالنا أو شيئًا آمنوا به في العصور الوسطى، كما يميل إلى القول العديد ممَن لم تزعجهم هذه الأشياء أو لم يروا شخصًا ممسوسًا. لقد فَهِمَ والِداها بأنَّهم كانوا يحاربون ضد كائنات حقيقِيَّة من المملكة الرُّوحانِيَّةِ السفليَّة، وأن الشَّياطين العاملين داخل ابنتهم البريئة يملكون معرفة حقيقِيَّة كثيرة عن ذواتهم وضعفاتهم.

وذهبت والدة كاترينا حالًا إلى المتاجر واشترت إناءً للزُّهور مصنوعًا من البورسلين مزخرفًا بالمينا والذهب باهظ الثمن. كما اشترت أزهارًا من أغلى ما أمكنها إيجاده إرضاءً **لطلب القديس** للزهور.

إنها لحظات مليئة بالجمالِ والبهاءِ والعظمة! وها هي ممسكة بيد كاترينا وباليدِ الاخرى إناء الزُّهور الثمين، تصعد الأم مع ابنتها درج الكنيسة وتقتربان من **رفات القديس المقدسة**. وبينما هم يكون (وكيف يمكنهم ألَّا يبكوا)، وضعوا إناء الزُّهور في **عهدة القديس** وركعوا ليقولوا كلمة «**شكرًا لك يا قديس الله، شكرًا لك لأنك وضعت حدًّا لسنين من الألم والدموع**».

ماذا عن كاترينا اليوم؟ لقد أنهت دراستها الثَّانوية وهي تفتش عن وظيفة جيدة. وقد يتساءل القارئ عمّا إذا كانت **الشَّياطين** قد أزعجتها من جديد؟ ولكن ماذا قال لها **القديس؟** «إن الشَّياطين تتركُكِ»، وقد تركتها من غير رجعة. كاترينا تؤمن بذلك وهي تعيش في ظل محبة ورحمة الله وقديسه.

«... لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ» (عبرانيين ٢: ١٤).

إناء الزهور الكثير الثمن:

الوجوه المضطربة الدَّامعة الخائفة، لا بل المرعوبة، تشهد عمّا عاشه تلامذة **المدرسة الابتدائية في كاليثيا في ضاحية أثينا**. كاترينا، إحدى تلامذة الصَّف الخامس، **تقع** من غير سابق إنذار، حيثما اتفقت أن تكون: أمام اللوح، بين المقاعد أو في الملعب. وتبدأ بالصِّياح والصُّراخ. هذا جرى عدَّة مرَّاتٍ خلال السَّنة الدراسِيَّة، ولهذا كانت كاترينا نفسها في حالة من الخوف الدَّائم، بالكاد تضحك، وتعيش مع **كابوس** هذه اللحظات المخيفة. صرخات كاترينا الحادَّة كسَّرت قلوب زُملائها في الصَّفِ، كما أنَّ نظرتها الشَّرسة في أوقات نوباتها قد لفتت انتباههم جميعًا. إنها تولول ككلب ينبح في الليل المظلم وتصرخ كقطة غارقة وتزأر كحيوان برّي، ما يزرع الرُّعب في الجميع فتطنّ هذه الأصوات في آذانهم ليلًا ونهارًا.

كاترينا ليست مضطربة عقليًّا ولا تعاني من مرض نفسي. إنها **ممسوسة**. إنَّ الاضطراب العقليّ مرضٌ جسدي أما المسّ فهو مرض روحاني. عندما يُمسّ أحدُ الأشخاص يدخله **الرُّوح الشِّرير ويجرّه حيثما يشاء**: إلى البريَّة أو إلى أعماق الحياة المظلمة. لقد استحوذ **الشِّرير** على كاترينا قبل أنْ تبدأ بالذهاب إلى المدرسة. وهي الآن في الصف الخامس، ما زال **الرُّوح الشِّرير يجرّبها بقسوة**. بمعونة والدَيها استطاعت أنْ تحاربه: لقد صلوا ومشوا معًا إلى أماكن العبادة المكرّسة المقدّسة. صامَت وتضرّعَت إلى **الله** وإلى **مريم الكليّة القداسة** والقديسين لكي يساعدوها عارفة أنَّ **المسيح** قال لتلاميذه بأنّ الأرواح الشِّريرة تُطْرَدُ بالصَّلاة والصَّوم: «سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَلَى انْفِرَادٍ:«لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟» فَقَالَ لَهُمْ:«هذَا الْجِنْسُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ» (مرقس٩:٢٨-٢٩).

أتت كاترينا بصحبة والديها مرتين أو ثلاث مرات إلى **القديس يوحنا الرُّوسي** خائفة وغاضبة. وقد ركعت وحدها أمام مقام **القديس** متكلمة معه هكذا: «يا قديسي العزيز يوحنا أرجوك من كل قلبي أن تشفيني، حتى لا أعود أقع وأؤذي نفسي مرَّة أخرى ولا أصرخ وأجعل كل مَن حولي حزينًا، كوالديَّ والأولاد في المدرسة وأصدقائي. يا عزيزي القديس إنَّني أكبر، أنا في الصَّف الخامس كيف لي أن أكمِّل هكذا؟ أنظر إلى كدماتي! إنني أقع في كل مكان، في البيت، في الشَّارع وفي المدرسة. يا قديسي الصالح، بالطريقة نفسها التي شفَيْتَ بها العديد من الناس في العالم بقوتك الإلهيَّة، أرجوك أن تشفيني أنا أيضًا».

وبمشاعر مثيرة جدا صلَّت كاترينا حتى أنها كسرت قلوب والديها وكذلك مَن كان يصغي إليها. لهذا السَّبب كان أصدقاؤها التلاميذ يحبونها.

وفي مساء أحد الأيام، كما في حلم، إذا بكاترينا ترى شابًا جميلًا ولامعًا أمامها قائلًا لها: «مرحبًا كاترينا. لقد جئتُ. لقد طلبتِني مرَّات كثيرة والآن أرسلني الله إليك. أنا **القديس يوحنا الرُّوسي**. إنَّ **الرُّوح الشِّرير** يتركك وسوف لن تقعي من جديد ولن تؤذي نفسك ولن تتألَّمي أبدًا. فقط عندما تستيقظين في الصباح أخبري والدتك هذه الأشياء وتعالوا معًا لكي تخبروني واجلبي لي بعض الزُّهور».

أحسن خبر في حياة والدة كاترينا كان عند سماعها عن هذا الحلم. لقد انتظرت لسنين عديدة تلك الرِّسالة من القوَّات السَّماوية. يجب أن ينتبه الجميع لهذه الرسالة: الأرواح النَّجِسَة

تتمة في صفحة ٢٣

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122